إلى القارئ

حياة اللغة العربية ! ذلك هو موضوع هذا العدد الخاص من مجلة الفكر وهي في سنتها الخامسة لاتزال تخدم اللغة والآداب العربية بهذه الديار ولاتزال تذود عن القيم وتعمل للرفع من شأن الانسان

حياة اللغة العربية تناولها في هذا العدد بعض افراد أسرة المجلة وبعض كبار المستشرقين بالبحث والتحليل وعالجوها بما يعين على معرفة مشاكلها ويعين الى حد ما على حل هذه المشاكل فتصبح لغتنا قادرة على مواكبة مفاهيم الحضارة الحديثة في ميادين الفلسفة والعلوم الصحيحة وغيرها من المواضيع ٠

الا ان المتصفح لهذا العدد المنكب على مطالعة قيم مقالاته قد يشرد عن ذلك فكره وينصرف اهتمامه ـ وهو يعيش عصره ويتجاوب مع بيئته ـ الى موضوع آخر خطير الا وهو : حياة افريقيا عامة والمغرب الكبير على وجه الخصوص

لاشك ان القارىء الكريم يفكر في حياة افريقيا المتوثبة المتحررة المتطلعة الى غد اسعد التائقة الى الحرية والكرامة وهي تسير من نصر الى نصر تسلط صارم ضرباتها على ماتباقى من سيطرة ونفوذ أجنبي ؛ وليس ادل على ذلك من الندوة الثانية للشعوب الافريقية التي انعقدت في الايام الاخيرة بعاصمة الجمهورية التونسية والتي تدارس اثنائها أبناء هذه القارة الخطط الكفيلة بتحقيق التحرر الكامل والازدهار المطلق في دون ما عصبية او تهور عقيمين

ولاشك ان هذا القارىء يفكر أيضا في حياة المغرب العربي والصحراء الافريقية حيث تصر فرنسا على تجريب قنبلتها الذرية من دون ان تراعي حرمة هذا التراب او تعبأ بحياة ابنائه والحال ان هذه العملية خطر يهدد كل تونسي وكل جزائري وكل مغربي ولاحجة لها الا القوة المادية العمياء ٠ فكان سلطان الضمير وهيبة القيم وحرمة البشر من حيث هو بشر اصبحت اسما بلا مسمى في عصرنا ، عصر التقدم والتعاون الدولي وعصر الحرية والمساواة !

حياة افريقيا وحياة المغرب العربي ! المسألة اذن مسالة حياة او موت ونحن قد اخترنا الحياة وعزمنا ان نعمل في دنيانا كأننا سنعيش أبدا ٠ واذا كان ذلك كذلك فنحن الذين قهرنا الاستعمار بقوة الروح وهيبة القيم وحماس الجماهير المؤمنة بحقها لن تطغى علينا المادة مهما عنفت وعمت ولن تقدر أية قوة على تغيير مصيرنا اوصدنا عن السير المتواصل الى العدل والحرية والكرامة ، الى الحياة الحق الى الانسانية الكاملة !

حياة اللغة العربية ، حياة المغرب الكبير ، حياة افريقيا جوانب حقيقة واحدة هي النضال من اجل « الحياة الحية » ومن اجل توطيد اركانها وبعث مقوماتها ٠

فعملنا الدائب للخروج من التخلف الاقتصادي والتدهور الاجتماعي والكساد الثقافي ، وسعينا للقضاء على مخلفات الاستعمار وجهدنا لبعث حضارة عصرية اصيلة ٠٠٠ كل ذلك مظاهر لحقيقة واحدة هي معركة الوجود الاكمل ونحن بهذا الوجود مؤمنون وله منتسبون وعلى بلوغه مصممون ومن قيمه العليا مستمدون ٠

الفكر

مرثية
ألبير كاموس الأديب الحر

بقلم فرحات الدراجي

لقد نعت الاخبار فى مستهل هذا العام الاديب الفرنسى « البار كاموس » (1) واسهبت فى تقدير رزية الادب فيه واطنبت فى نعت منزلته والتنويه بخصاله ككاتب قصصى او مفكر فيلسوف او مؤلف مسرحى . وان مجدت الصحف فى عدة عواصم كباريس ولندن او رومة وصطوكهلم اديبا قد فاز أجدر فوز بجائزة « نوبل » العالمية وان لهجت أصوات المذياع من مدن مختلفة باسم الكاتب الفقيد فانما شخصية مؤلف « الغريب » فوق النعت والاطراء . فلقد عبر « البار كاموس » فى حياته لا بأدبه فحسب بل بسلوكه ايضا عن كنه الوجود وحقيقة الكيان وادى رسالة الجد والصدق وشهد شهادة ناصعة طاهرة ومرة قاسية عن مأساة الانسان وحيرته البشرية .

وان ذكرنا بتونس « البار كاموس » كما ذكر فى اقطار اخرى وان اضفنا صوتنا العربى بمجلة « الفكر » الى اصوات اخرى فى لغات شتى مساهمة فى رثائه فلانه قد وقف فى حياته وفى ادبه مواقف برهن فيها عن تمثيله فى الادب العالمى لاشرف مذهب من مذاهبه واجل نزعة فيه ، نزعة « الانسانية » فى الادب .

ثم اننا ولا بدلنا من رثائه ولا مفر عندنا من اللوعة عليه لا نقف الا وقوف من يؤدى امانة الاعجاب ويعبر عن الم الفقد وشعور الوفاء

وانما يذكى اللوعة عليه ويلذع الفؤاد لموته ان اغتاله الردى اغتيالا مرا وسحقه سحقا عنيفا فقصف شبابه قصفا عند تمامه واكتماله فى عهد النضج ويانع الانتاج وازدهار الخلق الادبى .

وان شد المصاب لموت « كاموس » الاديب الفرنسى فانه لشديد ايضا على اهل العربية عامة وعلينا نحن الافارقة خاصة . فالاديب الفقيد قد فتح عينيه فى وجه سماء هى سماؤنا ونور الى افق هو افقنا ودرج فوق تراب هو ترابنا ؛

(1) يكتب اسمه هكذا « كاموس » ولكن لاينطق بحرف « السين »

ثم نشأ نشأة بؤسنا فتالم فى حداثته ماهو من المنا وجاع ما هو من جوعنا ، ثم احتار وقلق فوجدنا ــ نحن المغاربة ــ فى حيرته لونا من حيرتنا ولمسنا فى قلقه صدى من قلقنا • ثم وقف مواقف الشجاعة والثبات فى شدة العزلة وضنكها ومروءة الوحدة وكرامتها فظل عزيزا عندنا لقرب الصلة به حبيبا لدينا لطهارة عنصره وصدق انسانيته •

وان اختلفت لغته عن لغتنا وتعارضت جنسيته المادية وجنسيتنا وان تباعد عنا تارة فى حكمه على الثورة عامة والثورة الجزائرية خاصة ــ وتقارب منا تارة اخرى فى نضاله عن الحق وكفاحه فى سبيل العدل فمؤلف « الوباء » تجرع من علقمنا فاستجاب لصرختنا وردد صوته اباءنا ترديدا واشاد قلمه برفضنا حتى انزله بين المبادىء والجواهر وابرزه فى مكانة القيم الحية والمثل العالية •

فلطالما لمسنا فى كتبه ــ وقد خمدت اذاك نار الحرب وبقى منها الضيق والعسر ما لمسنا من هم النفس وشقائها فى وجودها ووعيها لجحيم كيانها ومحال (1) مصيرها وقلقها فى ظلام العدم المطلق •

ولكم لمحنا فى سلوكه من « محال » الحياة وتعذر الوجود وصراع للشر ومصارعة لليأس فعرفنا جده وفقهنا صمته وفهمنا « فاقته » وعذابه •

واننا لأعجبنا به اعجابا لا جزاف فيه ولا مراء واننا لفضلناه على غيره من الادباء كسارتر (2) ومالرو وجيد ومورياك فضلا عن « جيونو » و « مورروا » أو « دوهامال » و « جونفوا » • ولم نفضله غيا او غرورا فمؤلف « العادلون » حقق بين سلوكه فى الحياة ومواقفه فيها وبين ادبه ما حقق من وحدة ولحم بين الوجود والادب ما لحم من لحمة حتى اصبح خلقه الادبى عصارة نفسه وشاهدا عن الانسان عن شقائه ولعنته ، عن طهره وبراءته •

ثم انه الاسلوب لانه الانسان (3) لا كذب فى قوله ولا بهتان ولا زخرف ولا تنميق ، فكر ثاقب ورأى سديد ، نغمات حية ونبرات صادقة ولفظ صاف فى سلاسة الماء صلب فى قوة الجوهر كالمنقوش نقشا او المنحوت نحتا •

---

(1) اللفظة تعرب اللفظة الفرنسية : Absurde فهى فى نظرنا اقرب الى حقيقة المعنى من « العبث »

(2) هكذا بالترتيب :
Giono - Mauriac - Gide - Malraux - Sartre - Genevoix - Duhamel - Maurois

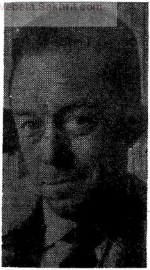
(3) عن Buffon

ولقد حببه لنا ما سئمناه عند كثير من الادبـاء من السفاهة والافتراء فكم يقولون ما لا يفعلون او ينسون فى الغد مـا ناصروا من القيم بالامس او يهتكون حرمـة ما علموا البارحـة من التعاليم الخالدة فيكذبون عـلى رؤوس الاشهـاد ٠

وانه ليزيدنا حسرة على اديب مثله ووحشة لصوت كصوته ما اضجرنا به بعض ادباء العربية بالامس واليوم هنا وهناك من تناقض بين حقيقتهم ومظهرهم بين فساد سريرتهم وطهارة ظاهرهم قبح فى الباطن وتجمل فى الزى شر فى عروقهم يسرى وخير به يتظاهرون وللقراء به يخدعون وعليهم يموهون وللادب يزيفون ٠

اما « كاموس » فلتطمئن روحه فى راحة الخلود !

تعليق : نظرا لاهمية الآراء المصرح بها فى هذا المقـال ونظرا لقيمة الكاتب فى الاوساط الجامعية بتونس تود المجلة لو تتعرف الى احساسات قرائها بالاضافة الى هذه الآراء وبالاضافة الى التصريح بها ٠ (الفكر)



صـــورة الاديـــب

البــار كــامـوس

ساعة تنهض الثقافة العربية

بقلم الشاذلي الفيتوري

من مشاكل الجيل العربى الحاضر ، وبعد التأمل العميق والتفكير المدقق فى هذا التباين القائم بين الحضارة العربية الراهنة والحضارات الغربية بصورة عـامة ، مشكلة حيويـة خطيرة هى ام المشاكـل ومحور جميع الاتجاهـات والتطورات : اشرت الى مشكلة الثقافة العربية باطلاق •

وان وسمنا المشكلة الثقـافية بكونهـا المشكلة الحيويـة الاولى بالنسبة للشعوب العربية فذلك راجع الى ما يوجد من علاقة جدلية جوهرية بين المستوى الثقافى من جهة وقيمة الحضارة من جهة اخرى بما لهذه الحضارة من جـوانب فكرية وروحانية ومادية : فلا سبيل للثقافة دون مقدار ادنى من الحضارة كما لا بقاء لهذه الحضارة ولا نمو لها دون مستوى ادنى من الثقافة •

وان نظرنا الى عصرنا هذا تيقنا ان مفهومى الحضارة والثقافة قد تطورا طبق اتجاه واحد :

مادة من جهة وعلـوم وضعية من جهـة اخرى ، وما بقى بـين هذه وتلك تقاسمته نزعات الانسان الى المثل العليا وعالم الروحانيات •

ومن فتح عينيه وتأمـل مليا فى خصائص هذا العصر وسلم بما لظاهرة اسراع التاريخ من سيطرة عليه انتهى الى احد الموقفين حسب ميوله الفكرية : اما تشاؤم ينادى بأفول تلك المثل واما تفاؤل يخرج بها من آفاقهـا القديمة ويجعلها تخرق السماء وتفوت الصواريخ فتتجاوز الشمس والقمر •

والباحث فى الثقافة العربية فى أيامنا تعتريه الحيرة لما يشاهده من تيارات متعاكسة واتجاهات متضاربة تتجاذب اطراف هذه الثقافة الهزول المتأرجحة بين احقاب الماضى ونشوة الحاضر واحلام المستقبل :

فمنهم من قام ناعيا لتراث الاجداد باكيا عليه ومنهم من تمسك بالقضاء والقدر واعلن الاستسلام ومنهم من وثب للنضال وتأهب للعلاج •

وهذا الفريق هو الذى يهمنا فى هذا الباب •

الا ان هـؤلاء القـوم ـ حسب مـا اعتقده ، وبقطـع النظـر عن حسن استعداداتهم ونواياهم ـ قد استبدلوا الجوهر بالعرض عندما انكبوا باحثين عن وسائل العلاج واسباب النهوض بهذه الثقافة ٠

استبدلوا الجوهر بالعرض لانهم اقتصروا على البحث عن وسائل النهوض باللغة العربية مهملين اصل المشكلة وهى النهوض بالثقافة العربية وبالحضارة العربية باطلاق !

واستبدلوه كذلك بالعرض لانهم اقتصروا عـلى هذه المشكلة الجـزئية وتجاوزوا هذا القدر فى الحصر فضيقوا من نطاقها بان تناولوا جانبها الشكلى دون اعتبار هذه اللغة كائنا حيا ينمو ويتطور حسب قوانينه البنائية الخاصة : فقالوا بان الثقافة العربية ، ان لم تتسن لها اسباب الرقى والتقدم ومسايرة بقية الثقافات الغربية ، فذلك راجع الى ما تفرضه عليها اللغة العربية من خناق ثم نسجوا استدلالهم هذا على شكل قياسى الا انهم اختلفوا فى الاستنتاج : فمنهم من قال بأنه لاسبيل للنهوض بالثقافة العربية الا اذا تخلصنا من ربقة الفصحى واحللنا العامية محلها ٠ ومنهم من قال بالمنزلة بين المنزلتين فاخـذ يبحث عن الاسباب التى تهىء انبعاث لغة وسط بين العامية والفصحى وهى ما سمى باللغة العربية العصرية ٠ وكلاهما يخبط خبطا لانهما يبحثان عن اسباب العلاج وهما يجهلان اصل المرض ومن المصاب ٠

فالمصاب فى الحقيقة ليست اللغـة العربية بل الفكر العربى باطـلاق ٠ والعليل ليست اللغة العربية بل الثقافـة العربية بصورة عـامة ٠ وها هو التاريخ يقوم شهيدا على ذلك ٠

يقول القاضى صاعد بن احمد الاندلسى : « ان العرب فى صدر الاسلام لم تعتن بشىء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكـام شريعتها » ونزيد التاريـخ استفسارا عن سر تطور الثقافة العربية فيجيب بان اعراض العرب عن العلوم الاخرى كان يتناقص شيئا فشيئا بقـدر انتشار دينهـم واتساع مملكتهـم واختلاطهم بغيرهم من الاجناس واطلاعهم عـلى الحضارات الاجنبية كاليونانية والفارسية والهندية : فلم يمض الا مائة سنة او اكثر قليلا بين اعمق توحشهم وبين امتداد العلوم وانتشارها فى ممالكهم الشاسعة ، اذ انه ان كان عمر بن الخطاب قد امـر باحـراق مكتبة الاسكندرية سنة 641 ميلاديـا فقد انتصب العباسيون فى الحكم سنة 750 ومن ثم انبعثت الحضارة الاسلامية وانطلق الفكر العربى متجولا فى جميع ميادين المعرفة الى ان بلـغ اوجه فى ايـام المنصور والرشيد وخاصة فى ايام المأمون ٠

ومن هذا يتضح ان العرب ، فى تلك العصور ، وان كانوا قد اخذوا علوما وفنونا كثيرة عن اليونان وغيرهم بواسطة الترجمة والاقتباس لايمكن ان يسلم بأنهم انما كانوا مقلدين لا مخترعين ـ كما يزعم بعضهم ـ لان التاريخ يشهد بان هذه العلوم التى ترجموها من لغات اجنبية قد اخترعوا فيها وزادوا عليها • وهذا مما يجعلنا نستنتج :

اولا : ان الفكر العربى له من المرونة والقابلية ما يجعله يسرع فى ميدان اكتساب العلوم والسير بها الى الامام •

ثانيا : ان طبيعة هذا الفكر لاتظهر ولا يرى ضوؤها ـ كما يقول بن المقفع ـ الا اذا قدحها قادح من الثقافات الاجنبية •

ثالثا : ان اللغة العربية ـ من حيث هى وسيلة من الوسائل التى يستخدمها الفكر لتحقيق غايته الاولى وهى التعبير عما يتصوره من مفاهيم ـ قلت ان اللغة العربية لها من المرونة والطواعية فى قبول العلوم ما يجعلها تقوم بوظيفتها على احسن وجه •

فمن تامل هذه الحقائق تبين ان مشكلة العصر الاساسية ليست اللغة العربية بل الثقافة العربية بصورة عامة •

وقد يقف الذين على اذهانهم غشاوة ومن فى قلوبهم **وازع التضليل** قائلين « هو التاريخ لايعيد نفسه ! » فأجيب :

اولا : ان كان التاريخ لايعيد نفسه فهنالك مجرى التاريخ الذى لا ينفلت عنه اى حادث انسانى مهما كان وأجعل الثقافة فى مقدمة هذه الاحداث الانسانية

ثانيا : ان لهذا التاريخ معطياته القارة وان هذه المعطيات بالنسبة للفكر العربى هى الجودة والقابلية من جهة وشدة التأثر بالثقافات الاجنبية وسرعة اكتساب المعرفة والقفز بها الى الامام ، من جهة اخرى •

ثالثا : ان مشكلة اللغة العربية تكون تبعا للمشكلة الثقافية الكبرى لان هذه اللغة ليست الا اداة تعبير يسخرها الفكر حسب غاياته ويكيفها حسب تطوره ورقيه • فيصبح تطور هذه اللغة مقيدا بتطور هذا الفكر مسايرا لنشاطه ونموه ، فعلى من اراد النهوض باللغة العربية والبحث عن اسباب تطورها كى تساير العصر بما له من مقتضيات فكرية وعلمية وفنية ان يعيد النظر لافى اللغة العربية بل فى اسس الثقافة العربية باطلاق •

خواطر اجتماعية
حول اللغة العربية
بقلم جاك بارك

سأتناول فى حديثى الى قراء مجلة الفكر الغراء البحث فى اللغة العربية ازاء علم الاجتماع الحديث ٠ وانى اعتذر اليهم لما يكون قد وقع فيه من الخطا والانحراف نظرا لعدم اختصاصى باللغة وعلومها ٠ غير انى سأقدم حولها بعض الاقتراحات التى تعرض عادة لفكر الاجتماعى ، او التى تفرض نفسها فرضا عليه ٠

ولابد لى فى هذه العجالة التى ارجو لها ان تحوز عطف الفكر التونسى العزيز ، ان انوه بشأن الثقافة العربية فى مختلف اطوارها ٠ لقد عرفت هذه الثقافة ما عرفته من الاشراق والاشعاع ، والركود والهجوع ، حتى اختلفت حالتها بين هذين الوجهين كما يختلف النهار عن الليل ٠ فمن وجه ثقافة عمت الدنيا حتى وسعتها ، الى وجه ثقافة اضرت بها الدنيا حتى اجهدتها ٠ فذاقت طعم الوجاهة والعزة والمناعة ، طعم الحياة والربيع ، كما ذاقت من احداث الزمان ما يذوقه الانسان وحضارة الانسان ، من ضعف بعد قوة ، ونسيان بعد ذكر ، وانزواء بعد سلطان وجاه ومنعة ، وشيخوخة بعد شباب ٠

عراك شهدته العصور وسجلته الايام ، بين طبيعة حياة لاتقبل الهوادة ، وطبيعة ثقافة لا تقبل الموت ٠ وكيف يكون للحياة على هذه الثقافة سبيل الى الغلبة والفوز ، وعنصر هذه الثقافة دفقة من حياة ، وشعاع من نور ، وفيض من عبقرية ! ٠٠٠

فلابد ، والحالة هذه ، من ان تكون الغلبة فى الصراع بين الحياة فى معناها الشامل العام ، والحياة فى قالب الروح والفكر ، اقول ، لابد من ان تكون الغلبة فى هذا الصراع ، لاشد وجهى هذه الحياة قوة ، واجدرهما بالبقاء والخلود ٠

وهكذا ، خاضت الثقافة العربية معركة العصور وخرجت منها ظافرة بفضل اللغة العربية الفصحى ، ركنها الركين وحصنها الحصين ٠ وكانت النهضة الحديثة وما نعرفه من شأن ازدهارها حتى يومنا الحاضر ٠

وكيف لاتخلد الفصحى وتخلد ، وحرزها المكنون القرآن الكريم ٠٠٠! كتاب صبغ بجلاله لون الحياة ، فبات ناموسا للتربية وروحا للحياة ، عزت به الانفس ، وتهافتت عليه الارواح ، فلاقت فى كلماته روحـا لها وريحانا ، فانتهجته ثم رضعت الكيان منه ٠ احدث فى نفس الفرد والمجتمع ما يحدثه من المعرفة والعواطف فهيأ الذات ، ثـم شفعها بالمشاعر والذكريات ، واحياهـا بالحنين فى اعمق اعماقها الى مايحن اليه المرء فى عائلته ومجتمعه وماضيه ٠ ثم انجلى ، تحتكم اليه فى النفوس قيم الاشياء والامور والتجارب ٠

مشاعر من الماضى المجيد تلجأ اليها النفوس تحت وطأة الحاضر المؤلم ، كما تلجأ الى واحة فى صحراء ٠ ذكريات فردوس مفقود ، عصفت به احداث الايام وجحافل التاريخ ٠

ومهما كانت المقارنة بين نضارة الطفولة وسحرها وتجهم الساعة وشقائها غريزية فى الانفس ولاشعورية ، فانها لاشك واقعة كائنة ٠ وما يضير هذه الانفس المتعطشة ان تكون العامية هى لغة التداول بين الناس ، وان تقتصر نصوص الادب مـرارا عند الادباء على منتخبات نثريـة او شعرية وان تطغى حينئذ طرائف « المستطرف » على سواها فى النثر ٠ والقصيدة الطويلة على شتى فنون الشعر ، ما دامت لغة القرآن الكريم بسحر جمالها وعظمتها تهز المشاعر وتنفذ الى الافئدة وتهذب الارواح وتنقل الفصحى مصونة بجميع قيمها وتحمل الرسالة طيلة القرون المظلمة والمراحل التاريخية الشاقة ٠

من اجل هذا كانت النهضة فى التاريخ العربى منذ ثلاثة اجيال نهضة لغوية قبل كل شىء ٠ ففى هذه الفترة من الزمن خرجت اللغة بموكب جلالها من محرابها الروحى الى معترك الواقع ، تجابه الحديث وتطاول كل لفظ عامى او اعجمى فى أداء الفكرة ٠ كما ان المجتمع والفرد شرعا يعملان على تـوفيق هذه العبارات مع الحياة ٠ فيصح هذا عن الفرد كما يصح عن المجتمع ٠ يعود الفرد على نفسه ويعود المجتمع على حقيقته فيحاول كلاهما ان يتفادى من كل تغير واغراق ولا نتعدى الواقع اذا قلنا ان هذه التيارات التوجيهية تكاد تكون غاية غايات الجهود العربية ونمطها الاجتماعى الاعلى منذ بدء النهضة ٠ تظهر لنا فى المجتمع فى اجتهـاد علمائه وتجديد مجدديه ، فى توتراته الداخلية ، او فى سلوك الفرد يعمل جاهدا على صون نفسه من كل ما من شأنه تحطيمها٠

ومن البديهى الا يتم احتكاك ما تبعثه اللغـة من قديم بكل حديث فى العصر الجديد دون تصادم وتفاعل ٠ والا يكون النضال فى جزيرة مقفرة كما حدث لحيى بن يقظان لابن طفيل الاندلسى ٠ ولا بد لموقف العرب ، والحـالة هذه ، ان يكون مـوقفا دفاعيا فى الغالب ٠ فيؤدى ذلك الى حدوث ظاهـرة اجتماعية خطيرة الشأن ، بانتعاش انسانية بكاملها حول بعث لغة ٠ وماتزال هذه الظاهرة مستمرة حتى اليوم ٠

وما قوة الصحافة والاذاعة ودور الطباعة والنشر واتجاهات التعليم ، والكثير من المنظمات بذاتها والمؤتمرات والمحافل والمعاهد بطابعها اللغوى ، وما بلاغة القول ، وسياق المقالة ورنة الخطاب فى الادب والسياسة ، وما هذه اللفظية التى يعيبها العائبون من المشارقة انفسهم على الشرق ، الا دليلا واضحا على تغلب عنصر اللغة فى التاريخ العربى الحديث بما فيه من الخير والخطر ٠

ولاتقتصر هذه الاية الاجتماعية عـلى احياء تراث مجيد ، فى ميـادين مترامية ولا على استمرار القديم ضمن الجديد فحسب بل تتعداهما الى مميزات هذه اللغة ٠ هذه المميزات التى صدرت عنها نتائج هامة فى نفسية المجتمع ٠ وهنـاك مجال واسع لبحـوث جـديدة ، ومـع الاسف لـم تستفد حركـة الاستشراق كما كان ينبغى لها من التقدم الذى حظى بـه علم اللغـة اخيرا خارج نطاقها ٠ وفى ميادين اخرى من بحوث واساليب ، مما يدل على ان حركة الاستشراق هذه لم تبلغ بعد غاية تطورها وكما تعرفون لقد تجدد علم اللغة تجددا عميقا فى الفترة الحالية متأثرا بأراء العالم السويسرى واللغوى الكبير (دى سوسبور) فحدث فى شتى ميادين هذا العلم ما نستطيع ان نسميه الثورة السوسورية بل اجتاز هذه الثورة ٠ ويزداد استغرابنا لضعف هذا التجدد فى الاستشراق اذا نحن عرفنا ان اللغة عند العرب هى عنصر اجتماعى يكاد يكون شاملا الى أبعد غاية ٠ فلا تقتصر فى غايتها على التعبير والايحاء ، بـل تتعدى ذلك الى التوجيه والفرض٠ وتقديم انماط تتحتم على الافراد وللجماعات٠

غير ان جهود اللغويين العرب فى اواخر القرن الثانى الى القرن الرابع ـ هذا اذا لم نخص بالذكر الا اشهرهم ـ ما تزال تطغى بطابعها القوى على كل البحوث الحديثة وليس ذلك بما احدثته هذه الجهود من قوة عديمة النظير فى نوعها فحسب ، ولكن بما بعثه هؤلاء اللغويون من خالص افكارهم فى صلب اللغة ذاتها ٠ فقد ساقهم الغلاب مع الفلسفة اليونانية تحت تأثير المستلزمات الخاصة لهم وبيئتهم الخاصة الى صياغة عمل اصيل ٠ نفس الظاهرة التى وقعت فى نمو الفقه الاسلامى من التفريع والتكييف والاجتهاد ٠ حتى يجوز القول ان علمى اللغة والفقه هما البابان الرئيسيان لتفهم العبقرية العربية فى كيانها الذاتى وفى تكوينها التاريخى ٠ غير ان الفقه رغما عن نضوجه الباكر ممكن ان نتبين اصوله النقلية والعقلية وتسلسلها المستمر منذ الكتاب والسنة الى اقوال الائمة واحكام الفقهاء ، مع ان اللغة مثلما خرجت من ايدى اللغويين كلا كاملا منتظما ذا قواعد راسخة فى صور شامخة فأضيف ذلك الى اصلها الآلهى وجمالها الانسانى والى ما انطوت عليه من بديع القيم ورفيع الحكم وان كانت رسالة القرآن الكريم قد ارتفعت بها الى اعظم الدرجات فما زادها عمل اللغويين الا هندسة وغنى ما بعده غنى !

لقد قدرت مصادرها الثلاثية بسبعة عشر الف مصدر • ومن الامكان ان يشتق من كل منها مايقارب المائة كلمة فهناك خلاف عظيم بين اللغة العربية وغيرها اذ اننا لانعرف الا من اللغويين انفسهم غالبا حالة اللغة في الفترة السابقة للتنزيل وقد ساق هؤلاء اللغة الى قوانينها حتى اننا لو اردنا ان نطبق عليها الاسئلة التي تهم المؤرخين في مختلف العلوم الاخرى نعجز عن الاجابة • كيف تكونت اللهجات مثلا في الجزيرة العربية قبل الاسلام ؟ وكيف كان التفاعل بين التيارات الشعبية الخالصة والتيارات الادبية في البداوة والحضر • ومالي في ذلك رأي ولا اجتهاد • غير اني اقارن بين هذه الحالة وما وصلت اليه معرفتنا للغات (الاندو اوروبية) من يونانية وسانسكرية ولاتينية الخ ... ما وصلت اليه معرفتنا من التمييز بين الفترات وتمحيص العوامل المتفاعلة وتسلسل العلل والنتائج في تطور لفظة ما او لهجة ما ؟ فاذا اردنا مثلا ان نفسر فرجيل او هوميروس ، او راسين في عصرنا الحاضر ، وجدنا تحت متناولنا كثيرا من المصادر المتنوعة في الزمان والمكان • وهذه المصادر تمكننا من شرح اية ظاهرة بما سبقها وما رافقها • وهل من الممكن او من المستحسن ان نتجه مستشرقين كنا ام علماء شرقيين ، الى مثل هذه البحوث ؟ والواقع اننا مع عجزنا الحالي وتساؤلنا القلق ، وصلنا الى حقيقة تشمل الكثير من مميزات هذه الحضارة لاشك ان اقواها في وجهيها الرئيسيين اعني اللغة والفقه هي نضوجهما منذ حداثتهما وسر تكاملهما الباكر • وليس هذا الا الجانب العلمي الوضعي لما يقره الفقهاء ويسمونه الاعجاز •

لنعبر التاريخ ولنقفز اربعة عشر قرنا فماذا نلاحظ ؟ وان تصل العربية الفصحى الى الذين يتلونها ويتكلمونها ويقرؤونها في القرن العشرين كتراث من الفردوس المفقود ومتمركزة على هامش الزمن ، مستعصية على التعليل البشري ، ففي ذلك ما يكفي على بعث بعض النتائج النفسية فردية كانت ام جماعية • واذا ذكرت هذه العقبات ردا على الاستقصاء التاريخي ، وحلت بذلك مشكلة من مشاكل اللغة ، تبقت مشاكل اخرى احب ان اعرض لبعضها الآن

لقد اشار Saussure بحق الى اهمية ما يسميه في اللغة بالسمة الاعتباطية ويقصد بذلك صفتها العفوية المتحررة من كل مسبب ككلمة عصفور مثلا فليس فيها اية رابطة منطقية تربط الاصوات بمدلولها • والحالة هذه ، وخلافا لما عليه اللغات الاوروبية ، تشتق الكلمات العربية في الغالب وبصفة اكيدة من المصدر • فنقول مثلا : مكتوب ـ مكتب ـ مكتبة ـ كاتب ـ كتاب جميعها كلمات صادرة عن جذرها : كتب • بينما نلجأ بالفرنسية للدلالة عن خمسة اشياء الى خمس كلمات لا صلة صوتية لبعضها بالبعض الآخر

فبينما كل كلمة من هذه الكلمات الخمس فى الفرنسية هى كلمة اعتباطية بذاتها ، نجد الكلمات العربية مرتبطة بعضها ببعض حسب منطق بين ٠ وما فيها غير (الجذر) اعتباطيا Arbitraire هنا نطلب الصفاوة والبيان والمنطق ٠

وكم كانت تسهل العربية وتصفو لولا المترادفات الهائلة ٠ وكأنها تريد ان تعوض عن تلك البساطة المنطقية الاصلية بكثرة المفردات ٠ ومن هنا نتائج كثيرة فى اتجاه عقلية الفرد والمجتمع ٠

فبينما تصب اللغات الاوروبية وخاصة الفرنسية الكلمة وتجمدها فى قالب الشيء حتى تختفى معالم جذرها ، وتصبح بدورها شيئا معبرا عن شيء تبقى الكلمة العربية الفصحى قريبة من مصادرها العقلية تعتز بها ، وتلجأ الى الاصطلاح فى كل ما يمت الى الجديد بصلة ٠ اصطلاح بين علمائها واجماع ، صادر فى معناه عن استعمال جديد للمصادر القديمة ٠

غير ان المصادر او الجذور فى بعض الاحيان ، تغذى الالتباس والتلاعب والالتواء ٠ كما ان المشتقات الدالة على شيء تتكاثر فيها المعنيات الى لا نهاية فالكلمة الواحدة كانت تفيد احيانا اشياء متضادة فى ذاتها : كالاسود والابيض والبارد والحار الخ ٠٠٠ من هنا ترداد المعنى وغموضه فهو لا يتضح الا بحسب روح الجملة والموقف ٠ هل تطورت اللغة وستتطور وتكيفت وستتكيف بروح المعاملات الحديثة والتمدن الصناعى غير انها ما تزال الفصحى حتى اليوم لغة الخطابة والاصدار ، والهجاء اللاذع ، اكثر منها لغة البيان والتعليل ٠ فهى اقرب ما تكون الى الشمول والتعميم ٠ فكيف نعجب والحالة هذه ، اذا هزئت هذه اللغة بالحدود والامكنة والعصور !!٠٠٠ فهى تستمد قوتها من ذلك وبذلك تحتضن كل من تكلمها من السنغال الى الهندوس ، سعة دافئة تبعث على الاندفاع والحماس ، يقدر دفئها الخير الكريم هذا كل غريب معرب٠ كما احس به انا اليوم ٠

غير ان هذه الخاصة تبدو لبعض المفكرين من العرب كانها تستر مواضع ضعف فى عالمنا المقسم المبوب ٠ فبعد جهود متواصلة مدة خمسين سنة ، لم تستطع الفصحى ان تطغى على الحياة اليومية التى كانت وما تزال ميدانا للعامية ٠ لذلك نرى من ناحية الوقار الدينى والقيم الروحية والفعالية السياسية والخطابة البليغة ومن ناحية اخرى نرى الوحى القروى والشعبى ، ماء حياة الواقع الملموس ٠ فهذا مما يثير مناظرة خطيرة بين بعض الادباء ٠

وقد يحدث ان يتساءل العرب من آونة لاخرى فهـم مدينون حقـا فى انتصاراتهم الحديثة والى مدى بعيد ، للعربية الفصحى التى تسمح بانتشار القول انتشارا واسعا وترتفع به الى آفاق السمو والعظمة • فيتساءلون هل ستقوم هذه اللغة الكبرى بأعباء المستقبل كما هى قائمة اليوم بأعباء الحاضر ؟• ام هل ستتحجر بدورها فتتنازل فى بحث كل ما هو شعبى ملموس عن بعض خصائصها الرفيعة ، ام انها ستفضل البرج العاجى ؟

حقا انها لتراث عظيم • دفعت به القرون فى اعماق الماضى البعيد حتى بدا للمعاصر ، شرقيا كان ام مستشرقا ، صافيا لاتشوبه اخلاط الواقع وقد نقاه القوم • فهو لايعود الينا خاما قذرا ولا معدنا يحمل الادران كالذى تعود به ابحاث الغربى من زوايا تاريخه ولكنه يعود درا وياقوتا ويجلله سحر ما كان ولن يكون • حتى هذه الخمسماية سنة من الركود والسكوت فانها اعانت على بعث المـاضى برمته ، واحيائه واجلاله • لذلك يتراءى للعرب اليوم كـلا لا يمكن انفصامه ، يثير الاعجاب بما ينتج عنه من امجاد الجمال والدين • ففيه يتكامل هوميروس بالتوراة وقوى القدم بطراوة التجديد •

هنا يتحتم على الاجتماعى تجنب علم اللغة ، لاننا لا نستطيع دراسة الماضى ككل بذاته الا على ضوء الحاضر ، هذا الحاضر الذى يهبط فيه هبوطا لايعـرف التدرج • وكلما اغـرق هذا الماضى فى قدمه ، زاد انتعاشه وزادت حيـاته • فقيمته الوجودية تتباين بحسب اقترابه بنسبة معكوسة •

وبصرف النظر عن الاتـراك والمماليك وعن القـرون الـوسطى جميعا تستوعى روح العصر قوى الشباب والحداثة عابرة عن عصور الانحطاط وعصور البذخ والافراط • ثم تلحق ببغداد والشام وتتعداهما الى العصر النبوى بعين الاقتباس والتمجيد• ثم الى الجاهلية بعين اللذة والاعجاب فننظر مثالا الى شعراء ذلك العهد وهم غالبا من هؤلاء الاعراب النهابين الوهابين الذين يشير اليهم الدكتور على الوردى تحت شعار البداوة • كم لهم من الجاذبية الحـلابة ومن الجاه المستمر • وقد راينا ذلك فيما احدثته شكوك طه حسين بهم من رد فعل عند المفكرين • ذلك ان القدم ، فى هذا الماضى المعكوس المقلوب ، يحسب له حساب واى حساب !••• فتبرز اقدم طبقاته وكأنها تندفع لاكتساح الحاضر ، بعنف لم تستطع الانماط الاوروبية مدة نصف قرن استنفاده • فلزام علينا اذن ان ندرس هذا المـاضى لا فى حقيقته الاثرية فحسب بـل فى استعداده وقبوله للنضال الحديث كعنصر من عناصر الحاضر • لا كـ Archéologie بل كـ Phénoménologie

وليست المشكلة الكبرى فى نظرنا اعادة هذا الماضى واحياءه بـل هى وصف طوره الحاضر وصراعه مع الـواقع الراهن • كما ان اختلاف القدمـاء والمحدثين ليس اختلافا بين اتجاهين جماليين فى الانتاج الادبى والفنى فحسب بل هو فى الحقيقة اختلاف بين تاريخ وضعى وماض روحى •

عظمة محيرة تحمل الامتعاض والحض • فيثور عربى القرن العشرين على الخارج وعلى عالم معتوه متحجر • مدفوعا بماض يعطيه اضافة على مايعطيه من العقيدة النمط اللغوى والاخلاقى والثقافى • فيروح يستمد من اعمق اعماق نفسه الرموز التى تعينه على نفض غبار العصور المتراكم • ويـروح يحاول التوفيق بين الهام الماضى وظروف الحاضر ، توفيقا يمكنه من التعويض عن تقصيره • غير ان مايناله من فوز فى الجيل الحاضر ، يصل اليه تبعا لانتظام يخالف مخالفة عظيمة ما لوحظ فى تاريخ الشعوب الاخرى اذ انه يصله التحرر السياسى قبل انتشار التعليم ، ويصله التعليم قبل التجهيز الاقتصادى ويصله التجهيز الاقتصادى قبل التجدد الاجتماعى فى اغلب الاحيان فمن هنا تفرض المشاكل نفسها فرضا على كل مصلح عاقل وكل ثائر متحمس • فشعوب حديثة العهد بالحرية ، لابد من اعادة تكوينها وتربيتها • ولكن اى تكوين ؟ واية تربية ؟••

ومن هنا القلق والاضطراب فى جميع المجتمعات العربية الحالية • فيجوز ان نستشهد على هذه الظاهرة الادباء والكتاب كما كنا نستشهد على الفترات الاولى النحاة واللغويين والفقهاء • لان خير الشهود هم اولائك الذين يحملهم العصر الحديث بانفسهم على القلق والاضطراب • فلنعرض لهم الآن دون ان نتوقف عند فوارق البيئة والمستوى والنوع •

والادباء بصفة عامة ذوو الحس المرهف هم الذين يعبرون ويعللون بقوة وفعـالية اسباب اضطراب العامة ودافـع هياجهم • فهم يعبرون بنظرنا عن مجتمعهم ويمثلونه اكثر مما يعبر ويمثل ادباؤنا عن مجتمعنا • لان دورهم التوجيهى فى مجتمعهم اكبر من دور ادبائنا فى مجتمعنا • هذا من ناحيـة ، ومن ناحية اخرى ، ان هؤلاء الادباء العرب ، وقد نهشتهم فكرة المعارف العامة ، واستهواهم عراك الزمن الحـاضر ، وانتزاع عميق لفرديتهم ، واشتبـاه القيم المعنوية هذا الاشتباه الذى نشهده اليوم ، ان هـؤلاء الادباء يظهرون لنا فى حالة قوة وضعف ، وصحة ومرض • وليسوا الا دليلا جديدا على حيوية اللغة ودورها الاعظم فى المجتمع •

اللغة الفصيحة لغة اعتزاز

بقلم ريجيس بلاشير

هذا نص المحاضرة التى القاها المستشرق الكبير ريجيس بـلاشير بتونس فى شهر نوفمبر عنى بنقلهـا الدكتور محمد فريد غـازى

انها مشكلة صعبة هذه التى سأحدثكم عنها هذا المساء وسوف لا اتحدث عنها الا من الخارج ولكن مع الرغبة فى الولوج الى الداخل ، مع انى ادرك ادراكا بينا اننى لن اتوصل الى ذلك وصولا كاملا ٠

وعلى اولا ان ابرر اختيار عنوان محاضرتى ٠ ولهذا يجب علينا ان نحدد ما نعنى بـ « العربية الفصيحة لغة اعتزاز » والتى سننظر اليها باعين اللغويين لا لان غير هذه النظرة تدخل البلبلة ، بين « لغة الحضارة » و « لغة الثقافة » و « لغة الاعتزاز » ٠ انها لمعان متشعبة متشابكة بينها تتحد فى بعض المعانى ولكنها لاتملك نفس المعنى ٠ ولنضرب امثلة : حتى تفهمون معنى هاته الكلمات مثل اللغة الارمية التى كانت « لغة حضارة » ولكنها لم تكن لا لغة اعتزاز ، ولا لغة ثقافة ٠ لقد كانت آلة مرنة حاملة الحضارة ٠

واما مثل لغة الثقافة : فمثل الفرنسية ، والالمانية ، والايطالية ، ولكن ليست هاته اللغات بلغات اعتزاز واما لغة الاعتزاز : فمثلها مثل اللغة اليونانية فى العالم القديم ، واللاتينية ، والصينية ، والفرنسية فى ازهى ايامها اى فى القرن الثامن عشر وفى مطلع القرن التاسع عشر ٠

تحديـد معنى لغـة الاعتـزاز

لاينطبق هذا المعنى على اللغة العربية كلها ، ولكن على اللغة المكتوبة عن اللغة التى يذيعها الراديو ، عن لغة الصحافة ، عن لغة المنابر الادبية ٠ انها لغة القرآن ، التى تتعارض وتتناقض مع العربية العامية ـ العامية تلك اللهجة التى لاتخلو من القيمة ومن الانسانية ولكنها ليست بالمرة لغة اعتزاز ٠

وانى لاصرح ان لغة الاعتزاز هذه ، هى العربية الفصيحة ٠ واقول العربية الفصيحة عوضا عن العربية الادبية ، اقول الفصيحة عوضا عن الكلاسيكية ، اقول الفصيحة عوضا عن العصرية لان هاته المعانى لاتشمل الا جزءا من تطور اللغة العربية اما فى ماضيها واما فى حاضرها ٠

العربية ، لغة اعتزاز فى تطورها التاريخى

ان الاسباب التى دعتنا الى ان نختار هذا الاسم متعددة ، متشعبة ، يكمل بعضها بعضا ويدعو بعضها بعضا ٠

ا ـ لقد طبعت اللغة العربية ، وهى ماتزال فى مهدها ، بطابع العزة ٠ لقد كانت لغة تفـاهم ، او مايسمونه « الكوينى » Koïné اى باللغة المشتركة ولا اقول « لغة تفاهم عادية » Langua Franca لانها كانت لغة جميلة نبيلة ، يستعملها الشعراء للتعبير العاطفى جميلة وباعثة فى النفس احساسا بالجمال وهاته « اللغة المشتركة » نجدها مستعملة من القرن الـ 3 الى القرن الـ 6 فى الجزيرة العربية وخاصة فى اراضى نجد ٠ « لغة مشتركة » تبنتها كل قبائل الجزيرة وهى تظهر لك دون قناع ، وتجدها فى اقوى واجمـل مظاهرها فى خطب « الخطباء » وان كانت تلك الخطب نصوصا لا اثق كثيرا بصحتها ٠

ب ـ ظهور الاسلام ٠ الحدث القرآنى

هذه اللغة الجميلة سيدخل عليها الاسلام روحا دينيا ويرتفع بها الى مكانة اسمى من التى كانت لها قبل ٠ فتصبح ـ لاكما كانت لغة شعرية ترن بالجمال ولكن لغة الوحى المقدس ٠

نحن الآن امام الحدث القرآنى ، الذى امتدت آلاؤه فى جميع ميادين الحياة الاسلامية ، وصبغت الوانه جميع مظاهر المجتمع الاسلامى ٠

ومنذ ظهر الاسلام ، لم تعد اللغة العربية آلة عـادية للكلام وللتخاطب ولا لغة انسانية محضة بل شيئا آخر ٠ نعم لن نفهم جوهر اللغة العربية وكيانها بل لن نستطيع لها فهما ان نحن اهملنا اهمية هذا الحدث القرآنى هذا الحدث الذى بفضله تجاوزت اللغة حدود الانسانية المحضة ٠

وتفسير هذا الحدث يعـود فى حقيقته الى علم الاجتماع الجماعى ، وعلم التاريخ الدينى لانه جعل اللغة ، فى اعين متكلميها انفسهم حدثا سماويا ومنذ اذ لبست اللغة العربية حلة مقدسة وتاجا من العزة لاتملكه اللغات الهندية ـ الآرية فالذين كانوا يتكلمون بالعربية ، احسوا فى قرارة نفوسهم بهذا العامل الالهى ٠ انهم يتكلمون « بلسان عربى مبين » ومعنى مبين ليس فى رأيى لغة بينة ، ولكن معناه : اللغة التى تعطى الفكر كل قيمته والتى تخرج الباطن الى اجمل نـور والمـع ضياء ٠ ولقد تطورت هذه اللغـة حتى اصبحت ظـاهرة هالية Epiphénomène وانتهى بها التطور الى ان اصبحت فى نظر الذين يتكلمونها علما فى ذاته ٠

ج ـ الدراسات فى اللغة وفقه اللغة

واكبر علطة نرتكبها نحن الغربيين هى تجريد العربية من هذا الاعتزاز ترى الم يحب العرب لغتهم محبة تشبه العبادة ، حتى ان اجيالا متواصلة من فقهاء اللغة ، واصحاب اللغة والنحو ، كرسوا حياتهم فى سبيل العربية • ولقد فكروا جميعا ان العربية حرية بوجود علوم نحوية ، وصرفية ، ولغوية ، تتعرض لبحث كنوزها • فراينا عند ذاك زهورا يانعة وبكثرة هائلة ، تفتحت فى كل البلدان العربية • ولكن هذه الكثرة كانت تخفى اخطارا جسيمة اهمها ان العلماء لم يعودوا قادرين على ادراك البذور الحية الموجودة فى العربية ، ولا النزعات الحية التى كانت تعمل فيها ، ولا ان العربية كائن حى يتحرك وينبض حياة وهو خطر جسيم جابهته اللغة واللغويون • ولكن عواقبه لم تكن حميدة فى غالب الاحيان •

وانت تدرك من الخصومات التى ثارت حول اللغة ، ومن المعارك الطاحنة بين المدارس ، مقدار المحبة التى كان يحملها علماء العربية للغة الضاد • وكل البحوث ، وكل الدراسات ، وكل المعارك وكل الخصومات وكل الردود تعود الى مصدر واحد هى رغبة العلماء فى فهم العربية ، والدخول الى قصرها المسحور لان العربية لم تكن عندهم وظيفة انسانية ، انها لغة الوحى •

ومن القرن الثانى الى القرن العشرين ، هيمن النحو واصحاب النحو • ولقد ادركنا هذا الصباح وانا اتحدث مع جماعة من الاساتذة ، هذه الحقيقة ، فرجونا ان نرى دراسات اكثر فى علم اللغة ، ودراسات اقل فى النحو • ومهما يكن من امر فلقد توجت هاته الدراسات النحوية والصرفية اللغة العربية بتاج من العزة وادى هذا المجهود ، فى مقدار واسع ، الى استمرار الدراسات العلمية التى تدور حول العربية •

د ـ لغة الاعتزاز : لغة الادب

ولغة الاعتزاز هى قبل كل شىء لغة ادبية • ونستطيع بل واجبنا ان نتحدث عن الآثار والروائع الادبية ، وعن مدى مقدار تمثيلها لافكار المؤلفين • خاصة اولائك الذين يثير اسمهم فى اذهاننا معنى العزة والافتخار بروائعهم •

1 ـ **الشعر** افكر اولا فى الشعراء • لافى شعراء القرن السادس شعراء العرب فى الجاهلية ولكن فى شعراء العصر الاموى : فى جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، وجماعتهم •

ولايقف فكرى عند هؤلاء بل يتعداهم متخطيا نحو ابن الرومى ، والمتنبى ، والمعرى ، وأراه يذهب الى شوقى••هؤلاء رجال وشعراء حملوا ، على اختلاف بيئاتهم ونزعاتهم ، كل على حدة ، وجميعا الى اللغة مؤلفاتهم انها احجار فى صرح اللغة العربية الشامخ

2 ــ النثر ــ مقالة (اصول النثر العربى) التى كتبها ويليام مارسى ، قد بينت لنا مكانة اللغة العربية وتطورها فى هذه المرحلة • فراينا ان العربية ، لم تثمر ــ ان استثنينا القرآن ــ ولم تنجب مؤلفات انسانية رائعة طيلة قرن كامل • ولكنها لم تدم على هذه الحالة طويلا حتى اصبحت اداة مرنة للفكر • ويتبادر الى ذهنى كتاب **كليلة ودمنة** لعبد الله بن المقفع الذى اتحفنا اخيرا بدراسة قيمة عنه ، وبترجمة فرنسية كذلك اخرجت ما فيه من انسانية ومن حيوية ، ومن ذوق • **ولكن كليلة ودمنة** ظهر بقرن او اكثر بعد القرآن وتتبادر الى ذهنى كذلك مؤلفات الجاحظ ، وابن قتيبة ، والغزالى • تلك المؤلفات التى تعرفونها حق المعرفة • وهذا التعداد ، يمكننا من فهم هذا الاعتزاز سواء فى ميدان الادب او فى ميدان الفلسفة ، او الكلام والفقه ••• ولنذكر الاطباء ، ولنذكر كذلك اصحاب الصنعة فمؤلفاتهم ــ وان كانت احيانا متلعثمة اللغة ، متعثرة الخطى ، فهى فى اغلبها تشعرك ان العربية اصبحت لغة حضارية عالمية باتم معنى الكلمة •

2 ــ العوامل العاطفية فى تطور اللغة العربية كلغة اعتزاز

١ ــ ان العوامل التاريخية التى تعرضنا لها ، لو تعمقنا **فيها هى عوامل** عاطفية • فلو كنت عربيا لكنت بالطبع فخورا بهذه اللغة العربية • **وهذا** المفهوم ، مفهوم الاعتزاز اراه بينا عندنا • لقد احس العربى **بعاطفة قوية من** الافتخار الناشىء عن مجرد دراسته ، لتاريخ اللغة • **وهذه العاطفة سوف** تدرك مداها وتبلغ اقصاها فى القرن العشرين ، اكثر من اى **عصر قبل وانت** تعلم ان مادعا هذا الكاتب ، او ذاك الشاعر ، او ذلك المفكر ان **يثابر فى طريقه** هو فى الغالب عاطفة من الفخر ومن العزة • وفى اصل نهضة العرب الآن تجد العواطف الدائمة الحية التى تربط الاجيال بالاجيال •

اللغة العربية : لغة القرآن • اللغة العربية : لغة الوحى • ولكنها ليست بهذا فقط • فعند هذا الكاتب او ذاك الشاعر تدرك انه هو نفسه يشعر برابطة مع الماضى وبالتمثيل الصادق لروح العروبة • فالعقلية العربية قد ادركت من عهد بعيد ، جمال اللغة العربية • واذكر فى هذا الصدد ابا الطيب المتنبى • ولكن يوجد كتاب ناثرون ايضا ، بجانب الشعراء الكبار الفحول •

وفى القرن العشرين ، راينا جماعات ادبية ، استمدت روحها من الينابيع العاطفية التى تزخر ثرية فى حياة اللغة • فكانت عاطفتهم عاطفة الافتخار باللغة العربية • وهذه عوامل عاطفية كانت عميقة ، ولكنها لم تفتأ ان تطورت فاصبحت عوامل « موضوعية » منطقية عقلية ، يمكن بحثها بحثا موضوعيا وفهمها فهما اجتماعيا واما الامر الذى ينبغى الا ننساه ابدا ، عندما نكون **بصدد** الحديث عن العربية ، هو ان هذه اللغة تمكن العربى ، من ابراز شخصيته امام لغات الامم الكبرى وتشعره انه يملك لغة حضارية ممتازة • حقا لقد تعرضت بالدرس لهذه اللغة كغربى • ورغم

هذا توصلت الى ان هذه اللغة يمكنها ان تشعر ابناءها بالعزة لانها تقف وقفة عظيمة و « عزيزة » امام الحضارات الاخرى ، حضارات ظنت نفسها ، طيلة قرون متعددة ، انها اللغات الوحيدة الحاملة للروح الانسانية • ولكن هاته الحضارات انتهت باكتشافات « انسانيات » اخرى وجدتها فى حضارات اخرى غيرها • وكان اكتشافا باعثا على اكتشاف الكون والبشرية •

والعاطفة التى تخالج العربى ، هو انه يتكلم بلغة نبيلة ، لاموازنة بينها وبين غيرها من اللغات • وهى عاطفة فيها امرا يصعب تحليله بل هو اصعب ما يلاقينا لاننا لانستطيع ادراكه ادراكا نيرا • ولانها تملك خاصيات انفردت بها • وفى الجملة فهو شعور بالانبعاث • الشعور بالتجدد ، هذا الشعور المرتبط ارتباطا وثيقا بـ « النهضة العربية » التى قامت فى القرنى الـ 19 والـ 20 والتى انتهت بان اظهرت آثارا وروائع تؤيد حقيقة عندنا ، وجود نهضة وتجدد عربى معاصر •

وفى عصرنا ، انم نشاهد ان العربية كانت قادرة على بعث مؤلفات متنوعة منها الادبية ، ومنها الفلسفية ومنها العلمية • وهذه المشاهدة ادتنا الى الشعور بعاطفة الاعتزاز الذى يشعر بها المؤلفون بهذه اللغة • وعلينا ان نحاول فهم هذا الشعور ، وهذا الاحساس • ويستطيع العالم ان يدخل هذا الميدان من طرق مختلفة وان ينظر اليه من زوايا مختلفة • ولقد حاولت فهمه فوجدت ان هذا الاعتزاز ، يتعدى بكثير • هذا الميدان نفسه • وهنالك طريقة اخرى على غاية من الاهمية بل هنالك طرق تخرج منها برأى ، من دفاع العرب انفسهم عن فكرة الاعتزاز هذه ، دفاعا باسلا •

والشعور بالعزة حمل ثقيل ، وهو يملى واجبات ثقيلة فلذا نرى العرب الذين يتكلمون بهذه اللغة يحاولون تبرير موقفهم • ولكن أرى ان عليهم ان يبرروا موقفهم بالاثار الرائعة والمؤلفات القيمة لا بالجمل الخاوية ، والخطب الرنانة •

وفعلا ، يقوم العرب الآن بحرب باسلة شنوها ضد اعداء مختلفى الوجوه ضد الامية ، والفقر الفكرى ، وضد ما يسميه علماء المجتمع « الانسلاب الثقافى » Deculturation حرب هائلة ضد اعدائه : ومن بينها ذكرت الامية وهذه اللغة هى سلاح ناجع فى حرب العرب هذه • وهى فى نفس الوقت آلة عالمية للتفاهم• لقد احسست بهذا ، فى ربيع السنة الماضية ، ونحن نزور اطلال دقة • فكان دليلنا يتحدث بعامية لم اكن افهم دائما كل معانيها فخاطبته بالعربية الفصحى واذا به يجيبنى • واذا بعاطفة ودية تنشأ بيننا • ولقد ابقى هذا فى نفسى اثرا عميقا وذكرى دائمة • ولقد شعرت كذلك ، خلال اقامتى بسوريا او بمصر ان التخاطب والتفاهم بهذه اللغة الفصيحة ازال السدود والحواجز بينى وبين العرب • بل شعرت وانا مار بقرى سوريا ، برغبة الشباب والكهول فى التحدث بهذه اللغة ، وعن رغبة الجميع فى ازالة الامية •

ب ـ مشاكل اللغة العربية العصرية

طالما فكرت فى مشاكل العربية فى عصرنا • وكيف يتسنى لنا ان ندافع عن هذه اللغة ، وكيف نتمكن من اذاعتها ومن جعلها اكثر ذيوعا ولكن انا ضد استعمال اللهجات كلغات ثقافية • وذلك يعود الى اننى مؤمن بان اللغة العربية ستخطو نحو الشعب خطوات اخرى كلما ازداد عدد دور النشر واصبح الكتاب فى متناول الجميع •

ولذيوع العربية ، ينبغى ان نقوم باصلاح الحروف العربية واصلاح الحروف العربية ليس معناه كتابتها بالحروف اللاتينية • كلا والف كلا ! فانا ضد كتابة العربية بالحروف اللاتينية • ولكن افكر فى اصلاح من نوع آخر يجعل العربية اكثر سهولة واكثر تناولا عند الصغار والكبار • وهنالك سبيل آخر لذيوع الفصحى : منها المدرسة ، وتكوين اكبر عدد ممكن من المعلمين والاساتذة •

وانا اذ اتحدث عن هذا الموضوع على ان ابـدى اعجابى بالمجهود الجبـار الخارق للطاقة الذى اكتشفته فى هذه البلاد وفى غيرها من بلاد العروبة •

واللغة العربية قمينة ان تصير وسيلة للتعبير عن جميع الافكار والعواطف او النظرة الى الدنيا فى مستوى الحياة المعاصرة بما فيها من نزعات وتيارات • وهنا ندرك مشكلة « انبعاث الثقافة » Acculturation هذه مواقف ملموسة فى هذه المعركة التى يشنها الرجل العربى ، بكل ما أوتى من قـوة ووسائل ضد كل ما من شانهان يعوق نموه الكامل •

وارى نقطة اخيرة ارجو ان ننتبه اليها وهى ان على العربى ان يبررمجهوده وموقفه بدراسات تاريخية وعلمية اجتماعية •

ولكن الاعتزاز لانجده بالنسبة الى العربى اى الى ابناء العربية بل بالنسبة لنا ايضا •

ج ـ موقف غير العرب امام العربية كلغة اعتزاز

ان الاعتزاز يمكن ان يحل ايضا بالنسبة للذين لايتكلمون هذه اللغة او الذين لايربطهم التاريخ بالعربية •

الم نـر الرومانيين ينحنون امام يونان ويشعرون رغم انهم كانوا مواطنى روما العظيمة ، ان الثقافة اليونانية قد اثرت عقولهم •

وفى فرنسا ، كم بذلنا من الجهود الواسعة ، لدراسة اللغة العربية واتقانها خاصة فى مدرسة اللغات الشرقية حيث اسس لاول مرة فى اوروبا ، كرسى لتدريس اللغة العربية الفصحى • ترى العربية الفصحى ، لغة الاعتزاز ، جنبا لجنب مع اللغة الفارسية ، والصينية ، لغات اعتزاز هى ايضا •

ولقد عرفناها ودرسناها على اساتذة اساطين اعزاء علينا ! ـ نحن نتحدث هذا المساء عن العزة ! ـ ولكنهم قد بذلوا اكثر جهودهم فى سبيل العامية • اعتقد ان الاهتمام باللهجات ـ وحدها ـ امر تجووز فهاته اللهجات تتطور كل يوم ، فارى ان لاندرسها كما كان يدرسها هؤلاء الاساتذة الكبار ، الذين بذلوا جهودا جبارة حقا لا بد لنا من ذكرها •

ونحن لانملك ما يكفينا من الموضوعية والزمن ، لنحكم عن هاته اللهجات التى تسير بسرعة نحو مصير جديد • فاللهجات « الحضرية » فتحت جنباتها للعربية الفصحى • ولقد لاحظت مقدار تحسن اللهجة بتونس • سمعت يوما احد الموظفين الكبار يحادث احد اعوانه قائلا ـ « اعمل هذا مباشرة » • وفى سيارة سمعت السائق يقول « رد بالك من **التاخير** » •

وانى اعتقد ان اللهجة تقتـرب من الفصحى بفضل المـدرسة ، وبفضل الاذاعة ، وبفضل الصحافة ، وبفضل الكتـاب السهل الاقتناء (وهو مـا بـدأ التونسيون بالتفكير فيه وبانجازه) • ولن تبقى اللهجة لهجة بل ستقترب فى آخر مرحلة ، من لغة الاعتزاز هذه وهو امر شاهدناه فى بلاد اليونان ، حيث اقتربت اللغة اليونانية المعاصرة من اللغة اليونانية القديمة• وكذلك فى ايطاليا وفى المانيا •

وهذا الاعتزاز ادى مدرسة باسرها من الاساتذة والادباء واللغويين الى بذل جهود كبيرة لجعل العربية المعاصرة لغة عزيزة •

وهكذا يدرك المستشرقون انهم ليسوا وحدهم الذين يهتمون بهذه المشاكل انهم لم يعودوا انفسهم بالعمل فى هذا المـوضوع • وارى نفسى شخصيا فى مثابرة دائمة ، وفى جهاد مستمر اخشى ان نغلب فيه •

واذا ما شاء غير العرب فهم هذه اللغة العربية ـ التى هى عـرضة لكل تطور ، ولكل ثقافة ولكل منهـاج مجتمعى ، فعليهم ان ينظروا اليها باعـين جديدة ، وان يحللوا مشاكلها باساليب علمية جديدة

واختم محاضرتي ، بذكرى مازالت تشبع نفسي

لقد كان حظي مع العربية ـ كغيري من اساتذة الاستشراق ـ صعبا جدا. ولقد خالجني اكثر من مرة الشعور بان دنيا العرب وعالم العروبة سيبقيان عالما موصود الباب ابدا امام محاولتي . وقد كانت المجهودات التي ابذلها جبارة

وآداب هاته اللغة العزيزة ، التي اثرت في نفوس جماهير واسعة ، طيلة قرون متعددة ، حرية بان تسحر نفوسنا ، والاعتزاز بالعربية تشعرون به أنتم اذا ماعدتم الى ماضي تاريخكم . اما نحن ، فعلينا ان نثابر في البحث والدراسة حتى ندرك بعد صعوبات جمة ان اللغة العربية لغة جميلة .

وعن هذا الشعور بالجمال ، اذكر امسية بدمشق اذكر مدينة دمشق ، والفصل شتاء ، والمساء ينزل فوق سطوح المدينة . كنا في الجامع الاموي ، جلسنا مع شيخ وقور . ذا هيبة وجمال روحي . وكانت اشعة الشمس المودعة تنساب من ثنايا النوافذ الملونة ، تذكرني برسم رمبرانت « تقديم عيسى في الهيكل » . وما تحدث به ذلك الشيخ الكبير ، كان مفرطا في البلاغة وعميقا جدا ، حتى احسست وشعرت ان هاتهاللغة تعود الى شيء آخر يتجاوز النظام البشري المعهود وانها تتشارك مع طبيعة الالهة .

فحاولت منذ ذاك ان اجعل طلبتي يفهمونها فهما احسن ، وان يحبوها محبة اكبر ، كما احببتها انا .

خطوات عملية نحو التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة

بقلم الدكتور الطاهر الخميري

للتقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة وسائل بعيدة مثل انخفاض الامية وارتفاع المستوى الثقافي العام ، وله وسائل قريبة هي موضوع هذا المقال .

العربية العليا والعامية السفلى

كتب بعضهم عن رجل يخرج من بيته صباحا ويعود مساء ، فقال : « كان ينسل من كوخه مع الفجر قبل ان تذر ذكاء قرنيها من المشرق ، ويعود اليه مع حمرة الشفق حين تصبغ المغرب بلون قان » .

هذه عربية عليا تقبل من بعض الشعراء فى بعض الاحوال ولا تقبل من غيرهم ، وقد جاءت فى خبر محلى نشرته جريدة « العمل » فى احد اعداد شهر نوفمبر 1959

وفى الشهر نفسه سمعنا من محطة الاذاعة التونسية عدة تعابير من نوع « الفرادى » و « ولد الاميمة » و « الحنينات » و « فى اسراه » ، وهى عـامية سفلى قد انقرضت طبقـة المتكلمين بها او كادت ، فـلا معنى للمحافظة عليها بالاكثار من استعمالها .

للصحافة والاذاعة اثرهما الكبير فى تطوير اللغة ، ويمكن ان تتعاونا على التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة بالاقتصاد فى استعمال العربية العليا والعامية السفلى

التعـابير المحليـة

سألنى اديب سورى : **ما معنى الخطايا عندكم** ؟ قلت : هى الذنوب والآثام طبعا . ولما اطلعنى على موضعها فى جريدة « الصباح » قلت : هى هنـا بمعنى الغرامة المالية . قال : لماذا تقولون خطيئة اذا اردتم غرامة ؟ قلت : هذا كما تسمون انتم العطلة المدرسية « فرصة » . وكان حديث طويل قال فيه الاديب السورى : ان القضية مشتقة من قضى يقضى بمعنى حكم يحكم ، ومنها القضاء بمعنى الحكم ، والقاضى بمعنى الحاكم ، فلم لا تقولون قضية وتقولون « نازلة »

والنازلة فى اللغة هى البلية والداهية والمصيبة الشديدة ؟ قلت : هى بلية مثل بليتنا بأذار وأيـار ونيسان وحزيران وشباط وتموز وكانون الاول وكانون الثانى وتشرين الاول وتشرين الثانى ، مضاف اليها حزيران واشباط وأذار وتموز ٠ لماذا تصرون على التاريخ بهذه الاسماء غير العربية وتنتظرون من بقية المتكلمين بالعربية ان يحفظوها او يبحثوا عنها فى القواميس كل مرة ؟

ان ما **يكتب** بالعربية يجب ان يفهمه القراء بسهولة فى كل البلاد العربية والتساهل فى استعمال الالفاظ والتعابير المحلية لايساعد على ذلك ٠

تعـدد الصيـغ

نقول فى لغة الحديث : شهر ذى القعدة ، بفتح القـاف ، وهو صحيح ، وتقول القواميس العربية ، حتى الصغيرة منها مثل المنجد ، انهـا ذو القعدة ايضا بكسر القاف ٠ ويميل بعض الخطباء والمذيعين الى استعمال الصيغتين بالتناوب ، فيضطرب الامر على المستمع ولاتتعود اذنه على صيغة واحدة صحيحة٠

للفعـل ضحك يضحك اربعـة مصادر فى « المنجـد » وخمسة فى لسان العرب ، فلم لا نكتفى باستعمال اقربها الى لغة الحديث وهو الضحك بفتح الضاد وسكون الحاء ؟

فى القرآن لا نجد الا نقم ينقم ، بفتح القـاف فى المـاضى وكسرهـا فى المضارع ، وفى القواميس العربية نجد نقم ينقم ايضا ، بكسر القاف فى الماضى وفتحها فى المضارع ، فلم لانقتصر على الصيغة الـواردة فى القرآن ونسهـل بذلك مسالة عين المضارع التى هى من اكبر صعوبات اللغة العربية ؟

فى القواميس العربية عدد ضخم من صيغ الجمع اخترعها الشعراء لتقويم اوزانهم وقوافيهم ، او لمجرد الاتيان بالنادر والخروج عن المألوف ، كما فعل ابو الطيب المتنبى فى « البوقات » التى دخلت القواميس العربية فصار جمع البوق ابواق و « بوقات »

ان تعدد الصيغ يضخم القاموس العربى بدون فائدة ويباعد ما بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، وهو ايضا يجوىء على اللغة ويسهل الخطأ فى استعمالها اذا كان من الجائز ان تكون عين المضارع مفتوحة او مكسورة او مضمومة وان يكون للفعل الواحد خمسة مصادر فاكثر ، وان يشكل الاسم على صورتين الى تسع كما فى كلمة « الاصبع » اذا كان الحال كذلك فلا حاجة للتثبت ٠٠ لان

المتكلم لايمكن ان يخطىء ٠٠ واليك آخر مثال سمعته من هذه الجرأة اللغوية ٠ فى شهر ديسمبر 1959 استمعت الى حديث ادبى فى محطة الاذاعة التونسية ، جـاء فيه :

العمامـة ـ مرة بفتح العين ومرة بكسرها ، والصواب كسرها

الجبـة ـ مرة بضم الجيم ومرة بكسرها ، والصواب ضمها

الـزى ـ بفتح الزاى ، والصواب كسرها

الذهاب ـ بكسر الذال ، والصواب فتحها

بلغ القمة ـ بضم القاف ، والصواب كسرها

ولولا الاعتماد على تعدد الصيغ وممكنات القياس والتخريج لما كانت هذه الجرأة المؤدية الى زيادة الفوضى ٠٠

للصيغ المختلفة قيمتها التاريخية واهميتها فى الابحاث اللغويـة وهى محفوظة فى القواميس المطولة ، امـا القواميس الصغيرة الموضوعة لاستعمال الطلبة وعامة القراء فيحسن الاكتفاء فيها بصيغة واحـدة تكون هى الصيغـة المستعملة فعـلا فى القرآن او الحديث او النصوص العـربية المعتمدة ، والا فالصيغة الاقرب الى المشهور فى لغة التخاطب ، مثلا : الاصبع بكسر الهمزة وفتـح الباء هى الصيغة المستعملة فى صحيح مسلم والتـرمذى والنسائى ، وجمعه اصابع هى الصيغة الواردة فى القرآن ، فيحسن الاكتفاء بذلك ٠ ولكن « المنجد » يـذكر تسع صيغ لمفـرد الاصبع ويضيف اليها صيغة عاشرة هى اصبوع وجمعه اصابيع ٠

نقول ان كثرة المترادفات فى العربية تضخم القاموس العربى ، والواقع ان تعدد الصيغ هو الذى يضخم القاموس ويسبب الحيرة والفوضى ويصعب التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة ٠

الطاهر الخميرى

من المشاكل العملية التي تعترضنا في استعمال العربية ونشرها

بقلم المنجي الشملي

أن يتصدى لبحث مشاكل اللغة العربية ليس امرا جديدا ؛ فمنهم من بحث في « أزمات » اللغة العربية في مختلف مراحلها ، ومنهم من فحص عن الدخيل في اللغة العربية ، وتساءل عن امكانية قبوله والاعتراف له « بحق الاستيطان » في لغة القرآن ، وعن عدم قبوله ؛ ومنهم من حاول تقعيد القواعد للمعربات ، وضبط قوانين تكون كفيلة بحفظ اللغة من الامتزاج بالمفردات الغريبة عنها ... فتعددت الآراء ، واختلفت الاتجاهات ، وتباينت المناهج ، فكان تزمت ، وكان جمود ، وكان اجماد ؛ وكان اتساع في التفكير ، وكانت محاولة لتطوير العربية و « تعصيرها » ، ونتج عن ذلك جدال ، ونقاش ... ؛ وانقسم القوم الى فريقين كبيرين : فريق رأوا ان العربية لايمكن لها ان تخرج عن لغة الجاحظ وابي حيان التوحيدي ، فجمدوا ولغة الضاد اجمدوا ، وفريق آخر لم يروا بأسا من ان تساير العربية سنة التحول والتطور ، فحاولوا توسيع صدر لغة القرآن لمقتضيات العصر الحديث ، وملابسات حياتنا الجديدة ... والفريقان لاينفكان يختصمان ، وكلاهما لم يهتد بعد الى الذى ترضى حكومته ! والتبلبل لايزال بالافكار عالقا ، والاضطراب عليها مهيمنا ..

على ان الفريقين ــ فيما يبدو ــ لم يأتيا المشكل من حيث يجب ان يؤتى ! اذ كلاهما اعتقد ان العربية ستنصاع لما يفرض عليها من أوامر ، فتجمد ان ارادوا لها الجمود ، وتتقدم ان ارادوا لها التقدم ... عزب عنهم ان اللغة كائن حى ، ينمو حتما ويتطور ضرورة ، وظاهرة اجتماعية تخضع للبيئة الاجتماعية والمعطيات الاجتماعية ، وسنة المجتمع ... حتى اصبح من المبتذل ان يقال ان القضية ليست قضية اللغة العربية ، ولكنها قضية الثقافة العربية ، قضية الفكر العربى ، والازمة ليست « ازمة » لغة ، ولكنها « ازمة » عقول ...

هذا امر يبدو لى بدهيا ، ولعله يبدو لك بدهيا ايضا ... ولكنى ازعم ان نهضة الثقافة العربية ، وانتفاضة الفكر العربى لاتحققان حتما انتشار نتاج الفكر العربى ، وذلك راجع الى مصاعب عملية تعوق العربية عن الانتشار

انتشارا كافيا ، وتعوقنا عن استعمال العربية استعمالا لايشوبه الجهد الكبير والتكلف احيانا ··· وبودى فى هذا المقال ان أتعرض ـ اجمالا لا تفصيلا ـ الى ذكر عدد من المصاعب العملية التى تعترض انطلاقة العربية انطلاقة بعيدة المدى فى مختلف الميادين الثقافية والعلمية ·

لعل المشكلة الرئيسية التى يتحتم ذكرها اولا هى مشكلة الحروف العربية اى الخط العربى ··· هذه المشكلة مشكلتان فى الحقيقة : مشكلة الحروف ومشكلة طباعة الحروف · لقد قيل فى تيسير طباعة العربية ،ونودى بذلك ؛ ولكن القضية ، قبل ان تكون قضية تيسير طباعة الحروف ، هى ـ فى جوهرها ـ قضية تيسير الخط العربى ·

الخط العربى الذى نستعمله اليوم هو نتيجة لتطور الخط الاول الذى استعاره العرب الشماليون من الانباط ـ ونعلم ان الانباط انفسهم استعاروا خطهم الاول من الآراميين ··· ثم استعار العرب الحجازيون هذا الخط نفسه ، بعد حقبة زمنية طويلة ـ تقدر بقرنين ـ وأخذ يتطور شيئا فشيئا حتى وضعت الحركات والنقط على حروفه ، وأصبح خطا قائما بذاته فى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن للميلاد ، اى فى الحقبة الممتدة بين عهدى الخلفاء الراشدين والعباسيين ··· لنلاحظ اذن ان العرب فى مطلع العهد الاسلامى يسروا الخط العربى وعملوا على تبسيطه ، وان هذه العملية ـ عملية تطوير هذا الخط ـ وقفت منذ اكثر من اثنى عشر قرنا ···

ما هى المشاكل التى تثقل الخط العربى ؟

نشير اولا الى الحروف العربية التى لاتثبت على حال ؛ فى الخط العربى حروف لايتغير شكلها مهما كان موقعها فى الكلمة وهى (أ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ة ، و) ولكن توجد حروف اخرى ـ وهى التى بقيت من الابجدية تختلف صورتها كلما اختلف مكانها فى الجملة ؛ خذ حرف الميم مثلا : تر ـ انه لنا اربعة اشكال لهذا الحرف الواحد : شكل للميم المنفصلة ، وشكل للميم فى اول الكلمة ، وشكل للميم فى وسط الكلمة ، وشكل للميم فى آخر الكلمة ! بل ان لنا خمسة اشكال لهذا الحرف ! اذ منهم من يكتب الميم فى وسط الكلمة على شكلين مختلفين ولنأخذ مثلا لفظ « كمال » فهم يكتبون (كمال) او كمال وانك لتجد نفس المشكلة ـ بل هى اكثر تعقدا ـ فى حروف الجيم والحاء والخاء اذ نصل الى سبعة اشكال لكل حرف منها ، فهم يكتبون حرف الحاء مثلا فى وسط الكلمة بثلاثة اشكال (فيحاء ، فيحاء ، فيحاء) ··؛ وكذلك الكاف واشكاله المتعددة ···

الامر الذى نستنتجه اذن : هو انه يجب تبسيط الحروف العربية قبل النظر فى تبسيط طباعة الحروف العربية بان نجعل لكل حرف متصل صورة واحدة مثلا ...

نحن نعلم ان عدد الحروف العربية تسعة وعشرون (بما فيها الهمزة).. ولكن طباعة نص عربى فى الحالة الراهنة لاتتم الا باستعمال 280 شكلا ! ! فى حين ان طباعة نص فرنسى او انكليزى مثلا تتم باستعمال 70 شكلا فقط ! !

ومن البدهى ان هذا العدد الكبير من الاشكال المطبعية اللازمة لطبع نص عربى ، عائق لانتشار الطباعة ، وبالتالى لانتشار المكتوبات العربية اى الثقافة العربية ، ولست فى حاجة الى ذكر ارتفاع ثمن الكتاب العربى الذى هو نتيجة مباشرة لهذه المصاعب المطبعية ...

الا ان الامر يكون هينا لو لم تتجاوز المصاعب الناتجة عن الخط العربى هذا الحد ، اذ المشكلة لاتنتهى بتوحيد الحروف ، فتصبح الطباعة اكثر يسرا ، واقل نفقات ، فالحروف العربية تكتب وتطبع ، فى الغالب ، بدون حركات وهى : الفتحة والضمة والكسرة والشدة ، والتنوين كذلك ... وانى اعتقد ان ادخال الشكل القار على الحروف العربية يكون له الاثر الحسن فى نفسية القارىء الذى لايبقى مبالغا فى اجهاد فكره عند قراءة نص عربى ، وفى فتح اللغة العربية فى وجه عدد اكبر من الاجانب ، اى فى نشر الثقافة العربية والتعريف بنتاج الفكر العربى .

ولكن طبع الحروف العربية ــ وهى على حالتها الراهنة ، اعنى قبل ان تيسر حسبما اشرنا اليه آنفا ــ امر صعب جدا من حيث التحقيق الآلى الفنى اولا ، ومن حيث النفقات الباهضة ثانيا . ذلك انه يتحتم ان تنضد حروف الطباعة على ثلاث طبقات :

طبقة ترفق فيها الحروف بالفتحة ، وثانية بالضمة ، وثالثة بالكسرة : معنى ذلك ان عدد الاشكال الطباعية الذى اشرنا اليه سيرتفع من 280 شكلا الى $280 \times 3 = 840$ شكلا ، ويجب ان نضيف التنوين الذى سيصحب الحروف فى آخر الكلمة ، وعند ذلك نحتاج الى طبقة رابعة ، واذا ما تذكرنا انه لنا 90 شكلا مطبعيا للحروف التى تأتى فى آخر الكلمة ، وانه لنا ثلاثة انواع من التنوين ، اصبح عدد الاشكال المطبعية فى هذه الطبقة الرابعة $90 \times 3 = 270$

شكلا ... وهكذا يصبح عدد الاشكال الطباعية اللازمة لطبع نص عربي مشكول الحروف :

840 + 270 = 1110 اشكال ... هذا ولم نذكر المدة والوصلة والهمزة والسكون والشدة ... اذ يمكن لكل واحد ان يواصل هذه العملية الحسابية المفجعة ... والنفقات الجسيمة التى يتطلبها مثل هذا العمل تزيد مشكلة ارتفاع ثمن الكتاب العربى تعقدا ، ولاتعمل على ترويجه وترويج اللغة العربية ... مشكلة طباعة النصوص العربية طباعة كاملة – حرفا وشكلا – لاتسهل وتكون ممكنة الا اذا يسرنا الخط العربى ...

هذه عقبة فنية فى سبيل العربية . واريد ان المع الآن الى مصاعب أخرى تجابهنا يوميا فى استعمال لغتنا ، وخاصة فى التعليم ...

واول ما يلفت الانتباه هو الارتباك المهيمن على العربية – او علينا – عندما نستعملها لتلقين العلوم كالطبيعة والكيمياء والحساب . هل توجد لغة علمية مشتركة يستعملها التونسى والمغربى والمصرى والعراقى ... نجيب بكل صراحة – مجردين عن العواطف التى لا تفيد البحث العلمي – ان هذه اللغة لاتوجد ، ولكنها بصدد الانبعاث : كل قطر يستعمل فى ميدان العلوم – لغة عربية خاصة به ... بل كثيرا ما تجد القطر الواحد – يستعمل – فى تدريس مادة علمية واحدة – لغات متعددة : لنا فى تونس مثلا صنفان من اساتذة العلوم بل ثلاثة اصناف : الاساتذة المتخرجون من كليات فرنسية ، والاساتذة المتخرجون من كليات الشرق العربى ، واساتذة مشايخ : تخرجوا من الزيتونة وكلفوا بتدريس العلوم : فالاستاذ المتخرج من كليات فرنسا – وهو عادة من قدماء الصادقية يستعمل لغة اجتهد فى تكوينها او الكشف عنها ... وخريج الشرق يستعمل لغة اساتذته الشرقيين ، وخريج الزيتونة قد يجمع بين هذه وتلك ، ويجتهد ما اتيح له ان يجتهد : واذا بك تقرأ او تسمع ، للدلالة على نفس المفهوم الفاظ : « انفراروج »(infrarouge)« ماقبل الاحمر » « ما تحت الاحمر » وهلم جرا ...

ولعل نفس الذبذبة موجودة فى تعليم الفلسفة بالعربية ، مع انها فى هذا الميدان اقل خطرا فانك تجدهم يشيرون الى كلمة Intuition بثلاثة الفاظ حدس ، وبداهة واكتناه ، فى حين ان لكل لفظ معناه المضبوط فى العربية الخالصة ، وتجدهم يشيرون الى كلمات Intelligence, raison, bon sens بلفظ عربى واحد : العقل !.. فوضى لغوية تدل على فوضى فكرية ...

والعربية هل تدرس بالعربية ؟ قد تبتسم من هذا السؤال ، وقد ابتسم معك ، ولكنى ابتسم ابتسامة صفراء ـ على حد التعبير الفرنسى ! نعم ، منهم من لايرى تدريس العربية بالعربية ممكنا ، ومنهم من لايرى بأسا من تدريس العربية بلغة « دارجة مهذبة » كما يقولون ، اوبلغة « عربية مبسطة » كما يقولون فى الشرق العربى ••• وانى ـ ومازلت حديث عهد بالتدريس ـ فجعت وفوجئت عندما رايت تلامذتى يتبرمون « لانى استعمل العربية الفصحى فى دروسى وفى مخاطبتهم » وكانت الفاجعة اكبر والمفاجأة اسوأ اذ لاحظت انهم قد يفهمون عكس ما يقال لهم بالعربية الفصحى ـ وهذا راجع ولاشك الى نظام التعليم المزدوج والى الاساليب التى لقنوا بها العربية ••• وتبرز هنا مشكلة تعليم النحو ، بل تبسيط النحو •••

وهذه القضية من اكبر المشاكل التى تعوق انتشار العربية ••• فنحن لانزال ندرس النحو حسب الطريقة التى سنها الخليل وسيبويه ••• لعل هذه الطريقة كانت دالة على عبقرية ونبوغ ، ولكن ظروفنا غير ظروف الخليل وفهمنا « للمشكل اللغوى » غير فهمه ••• فهل بقى معنى ، اليوم ، لقولنا « نائب فاعل » مثلا او « مبتدأ وخبر » او «فعل ناقص » و « فعل غير ناقص » بعد تطور الدراسات المتعلقة بعلم اللغات الحديث وفقه اللغة الحديث ؟•• ويجب ان نشير الى جهود عدد من اساتذة العربية الذين اخذوا يهتمون بهذا المشكل الشائك كالاستاذ ابراهيم مصطفى ، وكمال الحاج اللبنانى ، والدكتور طه حسين ، وخصوصا الاستاذ يوسف السوداء بنشره كتاب « الاحرفية » : ثمرة خمسين سنة من البحث والنظر فى اللغة العربية ، وثورة على النحو العتيق •••

هذا والصحافة « تعمل » لغتها اليومية ، والاذاعة « تعمل » لغتها اليومية ، وفعلا فقد اخذت لغة الصحافة العربية تتركز ، وكادت لغة الاذاعة تتركز ••• وهذا دليل على ان اللغة « تعمل » اذا ما « استعملت » و « توجه » اذا ما « وجهت » بل و « تحدث » اذا ما وجد « الصانع » •••

رغم هذه الجملة اليسيرة من المشاكل العملية ، لانبعد ان قلنا ان العربية قابلة للتطور ، قابلة للتيسير ، قابلة للتعصير ، قابلة للاستعمال فى جميع الميادين ••• لكن يجب ان يوجد العالم العربى فيكشف عن لغة العلم ، والفيلسوف العربى فيكشف عن لغة الفلسفة الاصيلة والروائى العربى ! •• والمفكر العربى ••!

مشاكل الامكانيات اللغوية لتطوير العربية

بقلم صالح القرمادي

المشكلة اذن هي البحث في – ثم تحديد – امكانيات اللغة العربية الفصحى الحديثة ومؤهلاتها لكي تصلح من شأنها فتصبح قادرة على ملاءمة مقتضيات عصرنا هذا في جميع ميادين عمل الفكر البشري علما وفنا وفلسفة وأدبا ٠

ولئن تحتم عـلى الدارس المنتهج للمناهج العلميـة في البحث ان يحل الخوض في مابين علم الاجتماع ومعطياته وحلوله وبين مشكلتنا هذه من علاقة وتفاعل المحل الاول لأولية تأثير الاحوال الاجتماعية والملابسات السياسية على نشأة اللغات وترعرعها ثم تطورها او عدمه فانه يتحتم عليه كذلك لكي يكون بحثه اكمل وأتم ان يراعي اهمية العنصر اللغوي في حد ذاته في درس مشكلتنا وأن ينظر في مدى تأثير طبيعة اللغة الداخلية وبنيتها الذاتية وهيكلها الخاص وتعامل اعضائها اللفظية والنحويـة والصرفية في مدى تأثير ذلك كلـه على امكانية تطور هذه اللغة وتكيفها وملاءمتها للجديد من المقتضيات والمستلزمات

فان **اللغة** لا تتطور بمقتضى الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقط بل وايضا ولو الى حد ادنى بمقتضى طبيعتها اللغوية الخاصة وقدرة تلك الطبيعة على التمطط والتكيف والتعصر ٠

ولذا فقد وجب للالمام بدراسة مشكلتنا اليوم البحث في « امكانيات تكيف العربية الفصحى الحديثة **اللغوى** لكي تصبح مطابقة لمقتضيات العصر الحديث »

وفي ما سيلي من كلام سنحاول بسط بعض عناصر الظاهرة اللغوية من المشكلة بدون جمع ولا استيفاء بل بطريقة التقليل والتيسير ٠

حالـة المـادة اللغويـة الحـالية

في العالم الغربي اليوم على الاقل ثلاث لغات متعايشة

1) **اللغة العربية الفصحى القديمة :**

وقد بات استعمال هذه اللغة في البلاد العربية استعمالا جـامعيا تراثيا صرفا اعني استعمالا منقطعا عن الحياة العملية ومقتضياتها المادية القريبة ٠

ثم هى فى طبيعتها اللغوية الآن كما كانت ايام ان اكتملت نضجها وتطورها فى القرون الاولى من تاريخ البلاد الاسلامية • فهى وان لم تمت كما ماتت اللاتينية واليونانية القديمة قد اصبحت لغة جامدة راكدة لايكتب فيها ومن باب اولى لايتكلم بها الا النزر القليل انفارا معدودين تمسكوا بفصاحة العربية القديمة اى عربية القرآن والعصرين الاموى والعباسى وقاموا مدافعين عن خلوصها من كل عيب وشائبة لأسباب عديدة اجتماعية وفكرية يطول شرحها ولم يعد يمثل هؤلاء الإنفار الا ما يسمى اليوم فى عصر الديمقراطية اقلية مسحوقة من المتشددين الرجعيين آخذة فى الاضمحلال والتلاشى •

ومن البديهى ان هذه اللغة العربية الفصحى القديمة التى اصبح تدريسها فى المدارس العربية اشبه شىء بتدريس فرنسية القرن السادس عشر من لغة « رابيلاى » Rabelais و « مونتانى » Montaigne هذه اللغة التى لم تعد تستعمل لا فى الكلام ولاحتى فى الكتابة ليست لغة المستقبل فى كونها قد اكتملت تطورها وشاخت ثم تجمدت وكادت ان تموت وان لم تفعل •

على ان لايتطرق للاذهان انه يجب ترك هذه اللغة والصفح عن دراستها وتدريسها اذ فى الاستمرار فى دراستها وتدريسها غذاء للفكر وللقلب وتثقيف للعربى المعاصر وتكميل لكيانه الفردى والجماعى ومقوم من مقومات كرامته وعزته اذ العربية القديمة جزء لا يتجزأ من تراثنا القومى العربى العظيم فالعربية القديمة ليست اذا موضوع بحثنا فى حد ذاتها وأولا وبالذات وان كنا مجبورين على النظر فيها وفى امكانياتها اللغوية بما انها الاصل الذى تفرعت عنه اللغة العربية الحديثة •

2) اللغة الدارجة

ليست هى الاخرى اللغة التى يجب ان نتخذها موضوعا لدرسنا ومادة للبحث لضعف هذه اللهجة الحالى عن الاداء والتعبير وقصورها عن اداء الصور الذهنية المجردة Consepts abstraits وخاصة فى ميدان العلم والفن•

فهى بعكس الفصحى القديمة ليست بالجامعية ولا بالثقافية بل انما هى لغة تخاطب عملى يستعملها الشعب للتعبير عن مقتضيات اعماله وشؤونه اليومية •

3) اللغة العربية الفصحى الحديثة

يتكون هذا النوع الثالث من العربية من لحمة ذات اهمية من اللغة العربية الفصحى القديمة ومن طائفة من العناصر الاجنبية عن الفصحى القديمة والناتجة عن التغييرات الحديثة الموروثة عن احتكاك الفصحى القديمة فى بلادنا التونسية مثلا

ا- بالطبقة اللغوية السفلى Substrat اى اللغة التى وجدها العرب هنا عند فتحهم لبلادنا اى اللغة البربرية

ب) بالطبقة اللغوية العليا Superstrat اى اللغات التى اقتحمت بلادنا وانتشرت فيها بعد الفتح العربى وبعد انتشار العربية فى هذه الديار اى الفرنسية والايطالية خاصة

ج) باللهجة الدارجة التونسية المعايشة للعربية القديمة معايشة مستمرة منذ اقدم العصور

وهذه اللغة العربية الحديثة هى لغة مكتوباتنا وجرائدنا ومذياعنا اليوم وهى ايضا همزة الوصل الحقيقية اليوم بين جميع الاقطار العربية المختلفة اللهجات الدارجة اختلافا تصبح معه العربية الحديثة الوسيلة الوحيدة للتبادل الفكرى وذلك رغم ما بين العربية الحديثة فى مختلف البلاد العربية من اختلافات جزئية ناتجة خاصة عن اختلافات الطبقتين اللغويتين السفلى والعليا اقول اختلافات جزئية لان اهم عنصر عضوى تتألف منه العربية الحديثة هو تلك اللحمة العربية القديمة الوحيدة بالنسبة الى جميع البلدان العربية ٠

واذ كان ذلك كذلك فان اساليب العربية القديمة فى التطور اللغوى وهى الاساليب التى استعملتها قديما عندما كتب لها التطور لملاءمة مقتضيات عصرها الجديدة من علوم وفلسفة يونانية وفارسية وهندية وغيرها هى بذاتها الاساليب التى تحاول بها العربية الحديثة ان تواجه عصرنا هذا وان تتطور حسب مقتضياته ٠

وان دراسة اولية بل مجرد عرض لهذه الاساليب اللغوية ولكيفية عملها الداخلية تبين عند اول نظر امكانيات فعلية ومؤهلات ايجابية من شأنها مبدئيا ان تخول للعربية الحديثة تطورا سريعا شافيا ٠ ولابد من محاولة بسط القول فى بعضها

ا) امكانية استغلال العربية الفصحى القديمة وبالتالى الحديثة لثروتها اللفظية الخاصة ولراس مالها اللغوى الخصيب الزاخر بخلاف كثير من اللغات الاوروبية اليوم التى لاتستطيع التطور الا اعتمادا على معجم لغات قديمة ماتت كاللاتينية واليونانية مثلا ٠

وقد مكن شعور العربية الفصحى الحديثة بالاستقلال اللغوى بالاضافة الى الخصب الغريب الذى يتصف به المعجم العربى قد مكن كل هذا العرب اليوم من حل كثير من المشاكل اللغوية العصرية بمجرد الرجوع فى افتخار وعزة الى كلمات المعجم العربى القديم واعادة استعمالها وبعثها من جديد كما هى او مع قليل من التغيير والتكييف

ولقد وددنا فى هذا المضمار ان نسوق مثالا واحدا ولكنه ذو دلالة كافية نبين بـه مظهر استقلال العربية بالنسبة الى اكثر اللغات الهندو ـ اروبية واستغنائها فى كثير من الاحيان ان تاخذ عن لغات اجنبية قديمة

فكلمة « فرس النهر » (او فرس البحر) التى تـدل على ذلك الحيـوان البدين الهائل الجثة والذى يعيش فى انهار افريقيا الكبرى يوافقها فى لغات اوروبا المشهورة

ا) بالاسبانية : هيبوبوطمو : Hipopotamo

ب) بالالمانية : نيلبفرد : Nilpferd (اى حصان النيل)

ج) بالانقليزية : هيبوبوطامس : Hypopotamus

د) بالايطالية : ايبوبوطامو : Ippopotamo

هـ) بالروسية : قيبوبوطام Guippopotam

و) بالفرنسية : هيبوبوطام : Hippopotame

فالملاحظ ان جميع هذه الكلمات الاوروبية ماعدا الكلمة الالمانية هى على نمط واحد مع بعض التغييرات الجزئية فى الرسم والنسق وانما السبب فى اتحادها هو اصلها الاجنبى المشترك اذ جميعها نـاتج عن كلمتين يونانيتين مركبتين تركيبا مزجيا وهما :

ـ هيبـوس : Hippos : اى حصان : فرس

ـ بوطاموس : Potamos : اى نهر

وغير هذا المثال المتعلق بالعربية القديمة امثلة عديدة فى العربية الحديثة منها : طائـرة او طيـارة من طـار يطير بينما الفرنسية تقول Avion من اللاتينية Avis اى طائر وهاتف من هتف تهتف بينا الفرنسية وكافة اللغات الاوروبية تقول Téléphone او ما يشابهها من كلمتين يونانيتين هما Telê بعيد و phonos صوت ...الخ..

وهذا الاتساع الملحوظ فى ثروة العربية اللفظية وفى معجمها الذى حوى ما يقرب من مائة الف كلمة وهو عدد يفوق بكثير عدد كلمات معاجم عدة لغات معروفة ومشهورة اليوم كالانقليزية والفرنسية قلت هذا الاتساع فى الثروة اللفظية يسهل استعمال وسيلة اخرى لغوية تستخدمها العربية لخلق الكلمات وتعديدها حسب مقتضيات تعدد الصور الذهنية التى تدور فى العقل البشرى وتطرأ عليه · وهذه الوسيلة تمثل امكانية عظيمة فعالة تتمتع بها العربية كما تتمتع بها جميع اللغات السامية للتطور والتعصر ·

2) امكانية الاشتقاق

او بالاحرى وكما يسميه اللغويون المستشرقون اليوم « القلب الداخلى » (1) Flexion interne

فمن المعروف ان وسيلة « الاشتقاق » او « القلب الداخلى » قد مكنت العربية الحديثة كما مكنت آنفا العربية القديمة من ان تستنبط كلمات عديدة وتخلقها خلقا لكى تواجه بها اختراعات العالم الحديث واكتشافاته ·

وان عدد ما اشتقوه اليوم من الكلمات على هذا النحو اعظم من ان يحصى فى مثل هذا المجال وعلى من يريد الاطلاع عليها اطلاعا شاملا ان يطلبها فى مجلات المجامع اللغوية المصرية والسورية والعراقية خاصة · اما نحن فاننا نكتفى هنا بهذا القدر البسيط من الامثلة المنتقاة انتقاء عفويا :

فقد اشتقت العربية الحديثة من صيغ قديمة كهتف وحكى اسمى الفاعل : هـاتف (Téléphone)

وحـاكى (Gramophone)

ومن صعد ورنا اسمى الآلة : مصعد (Ascenseur)

مرناة (Télévision)

ومن لاكم وصارع مصدرينهما : ملاكمة (Boxe)

مصارعة (Lutte)

وان العدد العديد من الكلمات التى اشتقت على هذا النحو اى بطريقة الاشتقاق من صيغ عربية قديمة لدليل على غزارة هذا المنهل اللغوى وصلوحية هذه الوسيلة لتيسير عملية تطوير اللغة وتعصيرهـا فى جميع الميادين وفى العلمى منها خاصة ·

---

(1) انظر :

Henri Fleisch : l'Arabe classique

Esquisse d'une sturcture linguistique. Beyrouth 1956, p. 25.

ومهما صلحت وسيلة الاشتقاق هذه ومهما خولت للعربية الحديثة من مؤهلات فعلية فانها لم تستطع بحال من الاحوال ان تكون كافية شافية اذ اضطرت العربية الحديثة الى استعمال وسائل اخرى تتمثل فى امكانيات لغوية اقل اهمية من الاشتقاق ولكن لاينبغى اهمالها ونحن نتعرض لاثنتين منها

3) امكانية استعمال بعض الزوائد الحرفية الامامية Préfixes والخلفية Suffixes

فاما الزوائد الامامية فانها تكاد تنحصر فى استعمال زائدة واحدة هى « لا » النافية فى اول بعض الاسماء للدلالة على نفى المعنى المجرد التى تدل عليه هذه الاسماء لاسيما فى ميدان الفلسفة والعلوم .

فقد قالوا اليوم جريا على استعمال قديم نجد امثلة منه عند الفلاسفة المسلمين خاصة .

لا الاهية : Athéisme

لا قابلية : Inaptitude

لا سلكى : Sans fils

لا نهائى : Infini ....الخ

واما الخلفية فهى تنحصر فى استعمال زائدتين موروثتين عن لغتين ساميتين قديمتين الارامية والسريانية وهما « آن » و « ية »

ولئن قل استعمال زائدة « آن » فى العربية الحديثة بخلاف العربية القديمة التى فيها : فرقان ـ قرآن ـ وشنان ....الخ فان استعمال زائدة « ية » يعد ذخيرة من ذخائر العربية فى ميدان استنباط معنى التجريد من صيغ عربية قديمة . ولنكتف بهذه الامثلة فقد قالوا من وصل ووصول « وصولية » Arrivisme او Carrieris ومن قوم « قومية » Nationalisme ومن اهم أهمية Importance ومن اولى اولوية Priorité

4) امكانية اخرى تتمثل فى قابلية العربية الصرفية لايواء كلمات اجنبية وفى تصريفها تصريفا عربيا بحتا يعجن هذه الكلمات عجنا ويمسخها مسخا

فكما اقترضت العربية القديمة كلمات يونانية ولاتينية وغيرها وهضمتها هضما والبستها ثوبا صرفيا عربيا قشيبا كفلسفة (ومنها فيلسوف وتفلسف ...) وكهيولى (ومنها هيولانى) وكأثير (ومنها أثيرى...) من اليونانية Philosophia و Hulê و ethêr ... وكصراط من اللاتينية Strata ....اقترضت العربية الحديثة ومسخت كلمات فرنسية فى تونس (وانقليزية فى مصر) كتليفون (ومنها تلفن...) وفلم (جمعه افلام) وراديو (جمعه راديوات) ونمرة (نمرات) وديموقراطية وديبلوماسية وهستيريا ....الخ

هذه اذن كما ترى عدة امكانيات ايجابية فعلية من شانها نظريا ان تسمح للعربية الحديثة ان تتطور تطورا سريعا مرضيا وان تتلاءم مع مقتضيات العصر ملاءمة كاملة ٠

الا انه لا ينبغي ان تنسينا هذه الامكانيات وجود عوائق وعراقيل لغوية بحتة تتعرض فى سبيل هذا التطور وتضيق عليه وتحد منه بـل وقد تمنعه احيـانا

I) ومن هذه العوائق والعراقيل يجب ان نـذكر اولا وبالذات حـدود الامكانيات الايجابية التى ذكرنا العملية ٠ اعنى امكانيتى الاشتقاق والزوائد

أ) فلئن كانت هذه الامكانيات متناهية القيمة والمفعـول نظريا فان هذا المفعول ليس مطلقا اذا ما نزلنا الى حيز التطبيق والعمل ٠

ولنضرب لك مثلا واحدا نسوقه لتوضيح مانقول :

فخذ ان شئت كلمة Personnalisme وهى من الفـرنسية الحديثة وحـاول ترجمتها ٠ فان اول ما ستميل الى استعماله من وسائل سيكون طبعا الاشتقاق فاذا انت رجعت الى اصل Personnalisme وهو Personne وجدته موافقا لكلمة « شخص » العربية ٠ واذا اردت الحاق زائدة « ية » لتجريد معنى كلمة شخص الفيت نفسك امام كلمة عربية معروفة قديمة لها معنى متداول مضبوط وهى كلمة « شخصية »

وهنا يتبين لك ان لاستعمال وسيلة « الاشتقاق » التى قلنا عنها انها من انجع وسائل تطور العربية حدودا لايمكن احيانا اجتيازها ثم يؤول بك الامر الى احدى اثنتين : فامـا ان تقتدى بمن اضافوا الى وسيلة الاشتقاق وسيلـة الحاق الزوائد الحرفية وفى هذا المضمار الحاق زائدة « ان » التى سبق الكلام فيها وصاغوا « شخصانية » (I) واقترحوها لترجمة Personnalisme على ما فى شخصانية من خشونة الواقع وغلظ النبرة اللتين ينبو عنهما سمع من سلم ذوقـه من اهل الفصاحة وامـا ان تستعير اللفظ الاجنبى استعارة فتقـول « برسونالية » ٠

وهنالك حالة اخرى تعرض للمترجم ويظهر له فيها عجز وسيلة الاشتقاق عن قضاء حاجته لاسباب لاتتعلق بوجود الصيغة كما سبق فى المثال اعلاه بل بالاسلـوب وبفصاحـة الاستعمـال كما فى ترجمـة كلمة Dogmatisme (عقيدية ـ عقائدية ـ ايمانية كلها كلمات متنافية مع حسن الاستعمال العربى فلا يكاد يبقى الا دقماطية او دقما كما يقول بعضهم)

(I) انظر : كتاب هذه هى الشخصانية لايمانـويل مونيى ٠ تـرجمة تيسير شيخ الله ٠ بيروت 1956

ب) ووسيلة اتخاذ الزوائد الحرفية هى الاخرى ضيقة محدودة الاستعمال لانعدام مجموعة وافرة متنوعة من الزوائد الامامية والخلفية كما فى لغات اوروبا الحديثة التى يسهل فيها تغيير معانى الالفاظ بمجرد تغيير الصاق زائدة من هذه الزوائد بتلك الالفاظ ٠

فنحن فى العربية اذا استثنينا الزائدة الامامية « لا » والزائدتين الخلفيتين « آن » و « ية » السابق فيها القول نكاد لانجد زوائد اخرى تذكر (I) ٠ حتى اذا ما اردنا ترجمة كلمات سهلة بسيطة ك interdental rroconstitutionnel anti-constitutionnel post-scriptum مثلا احتجنا الى اتخاذ تعابير طويلة وشبه جمل كهذه : ينطق ما بين الانسان ـ الموافق للدستور ـ المنافى للدستور ـ ملحق للرسالة ٠٠٠٠ على ماهو ظاهر فى هذه التعابير من الطول والالتواء المضرين باداء المعنى اداء واضحا سهلا موجزا وعلى ما فى وضوح المعنى وسهولته وايجازه من اهمية وخطر فى ميدان العلوم خاصة ٠

2) ولكن هذه الحدود العملية لاستعمال وسيلتى الاشتقاق والزوائد لاخطر لها نسبيا اذا قيست بعائق لغوى آخر وقف عرضة فى سبيل تطور لغتنا واعنى به عدم اهلية العربية القديمة وبالتالى الحديثة لاستعمال التركيب اللفظى فى استنباط الكلمات الجديدة ٠

فاننا اذا استثنينا ما يسمى بالتركيب المزجى الظاهر فى كلمات عربية معدودة محدودة الاستعمال كمعدى كرب وبعلبك ٠٠٠ لانجد فى لغتنا اليوم طريقة صرفية نتمكن بهـا من تركيب الكلمات عـلى نحو الطريقة المعروفـة بـ Composition فى الفرنسية مثلا ٠

فقد بقينا فى هذا المضمار نستعمل جملا وتعابير طويلة مفرطة الطول كما كان يفعل القدماء من اجدادنا العرب لاداء ما تؤديه اللغات الحية اليوم فى اوروبا بواسطة وسيلة « التركيب »

فاننا نكاد لانهتدى الى ترجمة اقرب اذا ما اردنا نقل كلمة « labio-dental » فى نحو قولنا le Fest labio-dental مما جاء فى كتاب المفصل للزمخشرى وهو قوله : وللفاء « باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا » (I)

وحتى اذا ما حذفنا « سفلى » و « اطراف » و « عليا » على انهـا زيادة فى التوضيح وليس الحاجة اليها مطلقة فان عبارة « وللفاء الشفة والثنايا » تبقى عبارة طويلة ملتوية يعوزها الوضوح والدقة التى فى labio-dental

(I) اللهم الا بعض الزوائد المستعملة فى لغة الكيميا ك « أن » و « آت » فى نحو صدأن وفحمنات

(I) انظر : كتـاب المفصل للزمخشرى ـ طبعة مصر ـ المجلد الثالث ـ الجزء العاشر ـ صفحة I24 ـ فى اول السطر السادس ٠

وان عدم قابلية العربية الحديثة لاستعمال طريقة « التركيب المـزجي » كما بينا يظهر مدى خطره وتأثيره على تطور العربية بصفته معرقلا لهذا التطور اذا ما تفطنا الى وفرة الكلمات المركبة على هذا التركيب فى اللغات الاوروبية بل الى عددها الذى لانهاية له اذ اننا نشاهد كل اليوم ان هذه اللغات لاتنفك تخلق وتصوغ الكلمات الجديدة « المركبة » ولاسيما فى اهم ميدان يعمل فيه الآن الفكر البشرى اعنى فى الميدان العلمي ٠

فالصعوبات الناتجة عن انعدام وسيلة « التركيب » تنقلب مأساة (بالنسبة الى المترجم طبعا) اذا واجهنا نقل كلمات كـ electro-cardio-graphie (1) او otorhinolaryngelegie (2) الخ ٠٠٠٠ ولايسعنا الا الاكتفاء بهذا القدر من الامثلة اذ لاحول لنا ولاقوة على ذكر قائمة مطولة منها فى مثل ضيق هذا المقال ٠

ولايخفى مافى ترجمة هذه الكلمات المذكورة اسفل هذه الصفحة من تعثر والتواء ومن طول واسهاب مما يمس ويضر بالايجاز والوضوح والدقة المحتومة فى ميدان العلوم ٠

على انه مما ينبغى ملاحظته ان طريقة « التركيب » هذه قد اخذت اخيرا تتسلل فىغضوناللغة العربية تسللا جزئيا خفيا وذلك بواسطة كلمات اجنبية مـركبة اقحمتها الصحافـة والاذاعة فى العـربية كـ : « انقلو ـ سكسون » Anglo-Saxon مثلا وربما كان هذا اول مرحلة فى سبيل تطور مقبل يحدث فى العربية فيؤول بها الامر الى استعمال كلماتها الخاصة على هذا النحو من التركيب فتقول فى labio-dental حرف « شفويو ـ اسنانى » وفى electro-cardio-graphe « آلة كهربائيو ـ قلبية » مثلا ٠

3) ومن العوائق القائمة فى وجـه تطور العربية الحديثة اولوية المـادة الثلاثية فيها كأولويتها فى جميع اخواتها من اللغات السامية وهذه الاولية قد ينجر عنها ثبوت معنى الصيغ العربية القديمة فى ما اشتق منها وما استنبط اليوم من كلمات جديدة اريد بها مواجهة الاختراعات والاكتشافات العصرية ٠

فان كل عـربى سلم ذوقـه اللغوى يشعر لا محالة بان مـادة « درج » و « هتف » و « صدح » التى اشتق منها « دراجة » و « هاتف » ومصدح لترجمة (bicyclette Téléphone microphone) قد فرضت على هذه الكلمات الجديدة معانيها القديمة ومازجتها بمعانى هذه الكلمات العصرية ممازجـة نتج عنهـا اضطراب فى تصور الصورة الذهنية العصرية التى اريد بهذه الكلمات الثلاثة التعبير عنها ٠ فمن منا لايتصور فى الوقت الذى ينطق فيه بكلمة « هاتف »

---

(1) اقرب التراجم هى : آلة الكشف عن القلب باستعمال الكهرباء
(2) « علم تطبيب الاذنين والانف والحلق »

وبجانب معناها اليوم (اى تليفون) جميع ما توحى به مادة هتف من صور وتخيلات ذهنية من رجل يهتف من بعيد وملك يهتف من السماء ٠٠٠؟ الخ ومن منا لاتخطر بباله اصوات الطيور وتغريد البلابل والعنادل اذا نطق امامه بلفظة « مصدح » وذلك فى نفس اللحظة التى يتصور فيها آلة الميكروفون ؟ ومن منا لم يجمع عند سماعه لكلمة دراجة بين تصور آلة البسكلات وبين تصور حركة التدرج والسير من اسفل الى عل ٠

ومن البديهى ان ثبوت معنى المادة العربية القديمة فى المعنى الحديث للكلمات المشتقة اليوم وامتزاجه به ناتج عن حيوية اللغة العربية القديمة وعن انها وان جمدت وركدت فانها ما زالت لغة حية على الاقل فى اذهان من يدرسها ويعتنى بها من العرب اليوم اذ نحن نلاحظ ان المواد اللغوية القديمة من لاتينية ويونانية لم يثبت معناها فى اللغات الاوروبية العصرية فى الكلمات المشتقة منها وذلك لان هذه المواد اللغوية تابعة للغات قد ماتت واضمحلت وعفا رسمها من ذاكرة الناطقين اليوم باللغات الاوروبية الحية ٠ فليس احد منهم اليوم يتصور عند استعماله لكلمه بسكلات bicyclette مثلا انها مأخوذة من كلمتين قديمتين الاولى : الزائدة الامامية bi بمعنى اثنين وهى من اصل لاتينى والثانية kuklos اى دائرة وهى يونانية ـ وكذلك الامر فى microphone من اليونانية micros » صغير و Voix = phonos وفى Téléphone وقد سبق اصلاها ٠

فحيوية لغتنا العربية وقربها منا وهما خصلتان ذاتا بال قد انجر عنهما هذا الخلل فى معانى الكلمات المشتقة وهذا العائق فى طريق تطور العربية الذى يمكننا ان نحشره ايضا فى باب ذكر حدود استعمال طريقة الاشتقاق السابق الكلام فيه ٠ وفى الخصلة ينجر عنها الخلل والعوائق ما فيه من غريب الاتفاق فى تاريخ تطور اللغات !٠

على ان هذا الخلل من شانه ان يضر بمعنى الكلمات المشتقة اليوم وان يجعله مضطربا عكرا وفى هذا الاضطراب والعكر مافيه من مساس بوضوح التصورات الذهنية وخاصة اذا كان المرء يعمل فى الميادين التى تتحتم فيها الدقة والوضوح كالميدان العلمى ذى الخطر العظيم فى يومنا هذا ولاغرو ان نرى بعضهم يجتنب هذه الكلمات المتعددة الصفحات المتلألئة المعانى تلألؤ بريق الحجارة الكريمة (mots à facettes) هذه الكلمات التى كان الفلاسفة العرب القدماء يسمون ما يشابهها من كلماتهم القديمة « مشتركة » équivoques ويصفحون عنها الى غيرها من خالص الدخيل ومجرده فيستعملون عوض هاتف تليفون وعوض مصدح ميكروفون وعوض دراجة بسكلات وعوض مرناة تليفزيون ٠٠٠ الخ٠٠

4) هذا واننا اذا اهملنا بعض الصعوبات الطفيفة الاخرى القائمة فى طريق تعصير العربية كانعدام امكانية اتخاذ الكلمات المقتضبة ان صح هذا التعبير (Abréviations) اللهم الا بعض الالفاظ القليلة العدد كنحو الخ (الى آخره) او « نا » فى كتب الحديث القديمة (اى حدثنا) (I)

فانه ينتهى بنا الكلام فى هذه المعنى الى ذكر اهم عائق عندنا فى وجه تطوير هذه العربية الحديثة الفصحى وهو والحق يقال اولا تاثير اللغات الاجنبية (وازدواج اللغة) ثانيا تأثير اللغة العربية الدارجة التى تلهج بها شعوب جميع البلدان العربية اليوم ٠

فاما التأثير الاول فمشكل طويل عويص قد خيض فيه منذ عهد بعيد وسيخاض فيه مدة اخرى لاتشك فى طولها وليس المجال هنا كافيا لا لبسطه ولا لحله ٠ وربما رجع بنا الكلام اليه فى حلقة اخرى ٠

واما تاثير اللهجة العامية على العربية الفصحى الحديثة فمن الخطورة والاهمية بمكان على مستقبل هذه العربية الفصحى اذ انه يبدو ان لغة ثالثة هى بين العربية الفصحى الحديثة وبين اللهجات العامية الحالية فى البلاد العربية عامة وفى تونس خاصة لظروف خصوصية سنذكرها آخذة الآن فى التكون والتبلور٠

وليس فى الامر أية غرابة اذ ان الحالة الثقافية المنحطة التى تتخبط الجماهير الشعبية العربية والجهالة الجهلاء التى تعم اكثريتهم الساحقة قد جعلت المسؤولين على هذه الشعوب فى عهد الاستقلال الوطنى الجديد من رؤساء الحكومات ومديرى دواليب الادارات ومسيرى الاعمال العلمية والفنية وحتى الادبية (I) قد جعلتهم مضطرين الى الصفح عن استعمال العربية الفصحى الحديثة والى اتخاذ لغة بين بين لاهى بالفصحى الحديثة مطلقا ولا بالدارجة العامية مطلقا ولكنها خليط غير قار ولا ثابت من اللغتين سواء فى دواليبها الصرفية او النحوية على ان صرفها ونحوها بالدارجة اقرب والفاظها وكلماتها بالفصحى الحديثة انسب ٠

وما فعلوا هذا الا لانهم قد اختاروا الفاعلية وفضلوها على نزعات التانق فى الكلام والتجمل فى اللغة اللذين ليس فيهما طائل فى مخاطبة الطبقات الكادحة من الشعوب اى اغلبية الشعوب التى تقوم عليها الحكومات وتعول فى جميع اعمالها سياسية كانت ام اجتماعية ٠

(I) على انه يبدو ان تسرب هذه المقتضبات فى العربية اليوم عن طريق اللغات الاجنبية آخذ فى الانتشار فعندنا اليوم الم٠ Monsieur = M. وس٠ج٠ت٠ (C.G.T.) و س٠ت٠ا٠ت (C.T.E.T.)

(I) فالدكتور فريد غازى لايستنكف عن استعمال اللغة الدارجة المهذبة فى محاضراته مثلا كفى المحاضرة التى القاها اخيرا فى نادى قدماء الصادقية

فنحن نشاهد اليوم فى بلادنا التونسية ان المسؤولين على تسيير حياة شعبنا التونسى على اختلاف طبقاتهم ومناصبهم من رئيس الجمهورية الى متوظفى الادارات الصغار يكادون لايستعملون فى خطبهم ومناقشاتهم وكلامهم العمومى فضلا عن محادثاتهم الشخصية الا اللغة العامية المعبر عنها بالمهذبة (I)

ومما لابد من ملاحظته فى هذا الصدد هو التطور الذى حدث عندنا فى بحر الخمس سنين الفارطة تقريبا فى استعمال اللغة فى الاجتماعات العمومية والمنتديات الثقافية والسياسية وغيرها • فان الاسباب العامة والتابعة لخروج البلاد من عصر العبودية الاستعمارية ودخولها فى عهد الاستقلال والتطور الاجتماعى والاقتصادى قد جعلت الناس اليوم لايتجاسرون على استعمال الدارجة فى تلك الاجتماعات والمنتديات فقط بل وحتى فى المدارس لتفسير مختلف المواد التعليمية بما فيها احيانا ••• مادة العربية وآدابها ! كانهم قد شعروا بان تطور البلاد العام الآنف الذكر لابد من ان يصحبه تطور فى ميدان هام جدا فى حياة الامة ميدان اللغة وكانهم شعروا بان عصر الاستقلال السياسى هو ايضا عصر الاستقلال اللغوى اعنى عصر تحرير العربية الحديثة من سيطرة العربية القديمة تلك العربية التى كانت من الاسلحة اللازمة لمقاومة الاستعمار بصفتها مقوما اساسيا من مقوماتنا العمومية والصاقها بلغة الحياة اليومية بلغة الشعب باللغة الدارجة

وهذا التطور ونتائجه التى كانت تعتبر مسا بكرامة اللغة وبحصانة الدين بل وبقومية الامة فى عصر الاستعمار وهذا الاستعمال للدارجة المهذبة الذى كان يعتبر عيبا من اقبح العيوب ونقيصة من اسقط النقائص فى الخطباء والأساتذة قد اصبح فى عصر الاستقلال شيئا مألوفا وسنة متبعة •

ولايسعنا فى نهاية عرضنا هذا لعوائق تطور العربية الحديثة الا الاشارة الى اهمية هذه الظاهرة — اى تاثير الدارجة على العربية الحديثة فى بلادنا — بالنسبة الى مستقبل العربية اذ ان مثل هذا التأثير سيصبح اذا استمروقوى ليس معرقلا من معرقلات تطور اللغة الحديثة الفصحى عندنا بل ربما آل به الامر فى النهاية الى الاتيان على هذه الفصحى والى احلال ماسميناه باللغة الثالثة محلها•

فانه يمكننا بدون ان نتزعم التكهن بالغيب ان نتساءل الآن هذا السؤال الخطير بالاضافة الى مستقبل اللغة : السنا الآن نشاهد اول مرحلة فى الزمان لتطور جذرى فى العربية سيؤول بهذه اللغة بعد مدة طويلة او قصيرة الى حالة جديدة تكون فيها قد اصبحت لغة عربية اخرى هى بالنسبة الى العربية الفصحى بمثابة اللغات الرومانية langues romanes بالنسبة الى جذرها الاوحد اللاتينية او بمثابة اليونانية الحديثة بالنسبة الى اليونانية القديمة او العبرانية الحديثة التى بعثوها فى اسرائيل بالنسبة الى العبرانية التوراتية القديمة ؟

(I) هذا عندنا اما فى بلاد الشرق العربى فيسمونها : « المبسطة »

يبدو مما سبق من تعديد المؤهلات والعراقيل ان العوائق القائمة في وجه العربية الحديثة وتعصرها وملاءمتها لمقتضيات زماننا هذا اكثر عددا واقوى تأثيرا من الامكانيات الايجابية التي تتمتع بها تلك اللغة والتي من شأنها ان تخول لها ذلك التعصر وتلك الملاءمة المرغوبين

ونتيجة هذا التفاوت في عدد الامكانيات واللا امكانيات حسب الظاهر هي ان مستقبل العربية في خطر وأنها باتت كأنها محكوم عليها بالتجمد والركود وبعدم مسايرة ركب الحضارة كما يقال ٠

على ان هذا يكون صحيحا لو توقف تطور اللغات وتقدمها على عامل واحد هو الطبيعة اللغوية وامكانياتها ولو كان المعيار الاوحد لقياس تحرك اللغات وتطورها او سكونها وتحجرها هو مطاطيتها الصرفية والنحوية والمعجمية او عدم تلك المطاطية ليس الا وبقطع النظر عن جميع العوامل الاخرى المؤثرة في حياة اللغات وموتها ٠ بيد ان الامور ليست كذلك بل هي اقل بساطة واكثر تشعبا من هذا

فان التاريخ قد برهن مرارا على ان طبيعة اللغات الداخلية وان كان لها اهميتها في تطور حياة تلك اللغات فهي في الحقيقة لاتمثل المؤثر الاول الرئيسي في تلك الحياة بل في اعتقادنا انه مهما كانت امكانيات اللغة العربية الحديثة او عدم امكانياتها اللغوية للتعصر وللاءمة مقتضيات القرن الذي نعيش اليوم فيه فانها ليست هي بالذات التي سيتوقف عليها تطور العربية او عدم تطورها ٠ بل ان هذا التطور عندنا متوقف وسيتوقف على شيء آخر هو تطوير احوال البلاد الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية السائدة الآن وتغييرها تغييرا يخرج البلاد من التخلف الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي من التخلف الثقافي المستفحل عندنا ٠

ولا يجب ان يكون الخروج من التخلف او ما يسمى اليوم بتلافي التخلف مجرد محاولة الالتحاق بما وصل اليه بعد العلم والاقتصاد والثقافة في البلاد المتقدمة اذ خاصيات هذا النوع من الخروج من التخلف وهي الاكتفاء باستعمال بعض الادوية المسكنة للظهور بمظهر التقدم كترجمة مايكتب الاجانب وتقليد ما يفعلون تقليدا سطحيا صوريا ليست كفيلة في الحقيقة بان تجعلنا نخرج حقا من هذا التخلف ونصبح متساوين والامم الناهضة المزدهرة اليوم بل الخروج الحقيقي من التخلف يجب ان يرتكز على قاعدة متينة صحيحة وهي متناقضة مع قاعدة محاولة الخروج من التخلف التي سبق تصويرها والتي ركزنا عليها اعمالنا الى يومنا هذا ٠

وهذه القاعدة الصحيحة هى عندنا الانتقال من مرحلة **الاستعمال** الى مرحلة **الابتكار** وذلك فى جميع ميادين الفكر البشرى وحسبما تسمح به ظروف البلاد الموضوعية طبعا ٠

ومعنى مرحلة الاستعمال فى نظرنا (وهى ايضا ما سميناه بمرحلة التقليد والترجمة) هو تلك الفترة الزمانية المتفاوتة الطول والقصر التى طغى الاستعمار فيها على البلاد العربية والتى انتهت بهذه النهضة المباركة التى نشاهدها اليوم والتى اكتفى العرب فيها **باستعمال** مخترعات الغرب وابتكاراته ولم يحاولوا لاسباب قاهرة احيانا ان يكتشفوا سر هذه المخترعات الباطنى من الناحية الفنية بحيث انك ترى فى هذه البلاد من يعرف كيف يقود السيارات والآلات وكيف يستعمل اجهزة كهربائية مختلفة كالمذاييع ومضخمات الاصوات وغيرها على انه لايعرف من اسرار تلك الآلات الفنية ولا من كيفية عمل دواليبها الداخلية شيئا حتىاذا ماحدث ان اصاب تلك الآلات خلل او عطل احتاج لاصلاحها الى الفنيين الاوروبيين فى اكثر الاحايين ٠

ومرحلة الاكتفاء بالاستعمال الناتجة عن تخلف البلاد الاقتصادى وعن عدم تصنيعها بالخصوص هى التى جعلتنا الآن مثلا لا نتصور او نكاد ان نرى انفسنا يوما راكبين على « سكوتر » من طراز عربى صنعه مهندسون وعملة عرب ولامنصتين لجهاز اذاعى يكون خالقوه وصانعوه عربا واسماء محطاته مخطوطة بالعربية على واجهته البلورية ٠

اما معنى مرحلة الابتكار فعكس ماسبق اذ هى المرحلة التى ستمكننا بعد ان نكون قد طورنا البلاد اقتصاديا وقد احدثنا فى ارضنا صناعة عصرية مبنية على اساس استغلال ثرواتنا الداخلية ستمكننا قلت من البحث والتنقيب ومن الوصول الى تكوين مهندسين عرب وباحثين عرب وعلماء عرب فى شتى الميادين قادرين على الوصول فى يوم قريب الى مشاركة علماء البلاد الاخرى فى الاختراعات والاكتشافات ٠

وعندئذ وعندئذ فقط فى اعتقادنا تستطيع العربية ان تحل مشاكلها بصفة عملية ناشطة ايجابية كما استطاعت اللغة الصينية بعد الثورة الصناعية التى حدثت فى هذه البلاد ان تحل مشاكلها اللغوية المعقدة تعقيدا اشد قوة ومدى من مشاكل العربية وكما استطاعت العبرانية الحديثة المبعوثة فى اسرائيل ان تواجه بعد نهضة البلاد الصناعية ان تواجه ضروريات العصر الحديث مواجهة يبدو انها فعالة ولاشك فى ان العربية وهى اختها السامية قادرة على الوصول اليها هى الاخرى ٠

وعندئذ لن تقف في وجه العلماء والمخترعين والادباء والمثقفين التونسيين مثلا صعوبات العربية اللغوية التي بيناها في اول هذا الحديث كما لم تقف في الماضي اي في القرن الثامن بعد المسيح ومـا وليه من قرون في وجـه العلماء والفلاسفة العرب عندما انتقلوا من طور الترجمة السلبية للعلوم اليونانيـة مثلا الى طور الخلق والابداع ٠

وعندئذ تعمل اللغة عملها وتتغلب بموجب الواقع وبحكم مقتضيات الحياة العملية التي لاتطيق الصبر ولاتقبل الانتظار عـلى جميع العراقيل والعوائق وعندئذ يحكم تطور اللغة الذي لانشك فيه بين من يخير بقاء العربية الفصحى القديمة ومن يحبذ استعمال الفصحى الحـديثة ومن ينادي باتخاذ لغـة ثالثة حكما لامناص منه

وعندئذ لن تكتفي اللغة العربية بترجمة ما يكتشفه الآخرون في ميدان التعاون الدولي المرغوب فيه بل ولربما جبرت هي الاخرى اللغات الاجنبية على الترجمة منها والاخذ عنها ٠

فلئن اخذنا عنهم اليوم تلفزة وسبوتنيك ٠٠٠ فانه لايجب ان ننسى انهم اخذوا عنـا في عصر نهضتنا القديمـة : ناعـورة وانبيق ٠٠٠ فلننهض اذن وستزدهر اللغة ٠٠٠

عيد فـرحـات

لقد وقـع تحريف في قصيد محسن بن حميدة بالعدد الاخير من المجلـة فالفكر تعتذر عنه للاستاذ وتطلب من القراء ان يصلحوا القصيد كما يلي :

اني رأيت على الوجوه السمر آثار الحديد
ولهيبه القاني يخط بها خطوط
اني رأيت الجوع والدم والعذاب
والاخطبوط ٠٠٠

وفي مكان آخر :

ركب الطغاة
ركب الطغاة الحاقدين المجرمين
ركب النتونة والعفن
ركب الوحوش الصاديات الى الدماء
انني أبـدا براء ٠٠٠

تعريب التعليم

بقلم الهادي حمو

الوضع الطبيعي للتعليم ان يكون بلغة الامة ، هذه قضية لاينبغي المماراة فيها . ولكن ما يثار ببعض اوساطنا الثقافية من دعـوة الى الجرأة في اصلاح التعليم ودعوة الى الحذر في تعريبه يوجب على رجال التعليم بهذه البـلاد ان يعاودوا القول في هذه القضية ، حتى يتبين للجميع هل لدعوة الحذر هذه مـا يبررها من العوامل والاسباب ، او هي من باب الخوف والاحتياط المبالغ فيه ؟

التعريب بصفة عامة من مقومات استقلالنا ، فنحن امة ــ او جزء من امة عربية تحررت من الحكـم الاجنبي ، ومن اهدافنا القـومية الاكيدة ان نـركز استقلالنا ، ونجسم شخصيتنا ، ونجلوها في ذاتية روحية ومادية متحررة من كل عوامل التبعية للغير . وهذا ما يدفعنا الى مضاعفة السعي لتعريب مصالحنا الادارية ومؤسساتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويدفعنا الى العمل على ان نجعل من لغتنا اداة تعبير عن كل ما نمارسه من علوم وفنون وصناعة ، وعن كل ما نطمح ان ننشئه من حياة ومدنية وحضارة ؛ فاذا قام فينا من يدعو الى الحذر في تعريب التعليم ــ والتعليم اشد العناصر مساسا بكيان الامـة واكثرها تعرضا لعبث الاستعمار وكيده ــ اذا قام فينا من يدعو الى الحذر في تعريب هذا العنصر الهام ، فان من حسن الظن به ان نلتمس في دعوته هذه بواعث غير تلك البواعث التي كانت تحمل رجـال الاستعمار على استنقاص العربية ، ورميها بالعجز عن مسايرة ركب الحياة ، وبالقصور عن التطور واداء رسالة العلم في هذا العصر الحديث

لقد كانوا يفعلون ذلك لانهم يرون ان حياة اللغة حياة لاصحابها ، وان في استنقاصها استنقاصا لهم ، وان في الاقرار بالعجز فيها اقرارا بمركب النقص فيهم . واي سلاح أنفع للاستعمار في المحافظة على امتيازاته من تكوين الشعور بمركب النقص في الشعب ، وتكوين الشعور بمركب الكمال في فئته الحاكمة وايديه الباطشة ؟

فالداعون الى الحذر في تعريب التعليم من اخواننا المواطنين نربأ بهم عن هذه البواعث الاستعمارية ، اذ نقدر فيهم انهم معنا يدركون ان تعريب التعليم هو عـود به الى وضعه الطبيعي ، وانهم معنا يعتبرون ان العربية قد اجتازت محنة الاعتراف بها في هذه البلاد لغة رسمية ، كما اجتازتها في بقية البلاد

العربية التى تحررت من الهيمنة الاجنبية ؛ واذ نقدر فيهم انهم درسوا العربية او ألموا بها على الاقل ، وعرفوا ما تمتاز به من مرونة وصلاحية لان تكون لغة العلوم فى عصرنا هذا ، كما كانت لغة العلوم فى عصور ازدهارها الماضية ٠ وهؤلاء الداعـون الى الحذر قدربأوا هم بانفسهم عن تلك البواعث ، فعللـوا دعوتهم بان بلوغ الغـاية من العلوم العصرية لايكون الا باستقصاء المراجـع الاصلية ، والمراجع العلمية الاصلية غير عربية اللغة ، وبان كثيرا من الامم الشرقية تفكر فى تدريس العلوم باللغات الاجنبية ، بعد ان جربت تدريسها بلغتها القومية ؛ فمنشأ حذرهم اذن هو الحرص على بلوغ الغـاية من العلوم العصرية فى التعليم ، ومن ثم يكون من المفيد ان ننظر الى مراحل التعليم والى الغاية من كل مرحلة مرحلة ، لنعلم هل ان التعريب مما يعطل ويضر حقا بغاياتنا المرجوة من العلوم العصرية ؟

ان الغاية من التعليم العـام تكوين المواطنين الذين يستطيعون القيـام بواجباتهم الفردية والاجتماعية ، ويباشرون الحياة بارادة واعية ، تستغل ما يتاح لها من فرص متكافئة ، وتستخدم ما اتمته فيها وسائل التربية والتعليم من خبرات ومواهب وقرائح ٠

فابناؤنا اذ يزاولون تعلمهم الابتدائى والثانوى والعالى مقدر فيهم تحقيق هذه الغاية العظمى من التعليم ، كما يقدر فيهم تحقيق غايات جزئية تقصد من كل مرحلة مرحلة من التعليم ٠

فمرحلة التعليم الابتدائى يهدف فيها الى تهيئة النشء الى التعليم الثانوى ؛ ومرحلة التعليم الثانوى يهدف فيها الى تخريج الاطارات المتوسطة التى يحتاج اليها فى الميادين العامة ، والى اعداد الطلاب الى التعليم العالى ؛ وفى مرحلـة التعليم العالى تكون الاطارات العليا للدولة ويهيا لها ما تتطلبه من اختصاصيين فى التعليم والادارة والقضاء والاقتصاد والصحة ٠٠

ونسبة المتعلمين تجرى عكسيا مع مراحل التعليم ، فالعدد الكثير منهم بالمرحلة الابتدائية والقليل منهم بالمرحلة العليا ، وحصص العلوم العصرية التى يتلقونها بهذه المراحل حصص نسبية ، ولكن من الواضح ان ما يتلقونه منها بالمرحلتين الابتدائية والثانوية لايحتاجون فيه الى بحث الموسوعات الكبرى ، والى امهات التآليف ، والاستقصاء من المصادر الاصلية فى اللغات الاجنبية ؛ فهم مهما ارتفع مستواهم فى دروسهم الرياضية والطبيعية ، او فى تطبيقاتهم الصناعية ، ليسوا مهتمين بغير ما تطالبهم به البرامج التى يجب ان تعين لهم كتبا مدرسية تتلاءم ومستواهم العقلى ، وتساعدهم على تادية واجباتهم المدرسية

فتعريب التعليم فى هاتين المرحلتين لايقوم مشكلة من حيث فقد المصادر الاصلية لهذه العلوم فى العربية ، كما لايقوم مشكلة من حيث بلوغ الغاية من هذه العلوم ، اذ ان الغاية منها لاتحصل الا فى مجال الاختصاص وفى باب الاجتهاد وميادين الدراسات والبحوث العالية ، وهذه طبعا لاتكون الا فى مرحلة التعليم العالى ، ولا تكون ايضا الا اذا صنعت البلاد وانشئت بها المشروعات الاقتصادية الضخمة التى تتطلب الخبرة العلمية ، والعمل الفنى ، والكفاءة الاختصاصية ، والتجهيز الآلى ٠

ففى المرحلة العليا من التعليم يمكن ان ننظر الى التعريب كمشكلة من حيث المصادر الاصلية للعلوم العصرية ، اما فى المرحلة الابتدائية والثانوية ، فالمشكلة فى نظرى - ان صح ان نطلق عليها انها مشكلة - تقوم على قلة الاساتذة الذين يمكنهم تدريس هذه العلوم باللغة العربية ؛ وتقوم على قلة الكتب المدرسية التى توضع بايدى الطلاب اثناء دراستهم ٠ والمصطلحات العلمية فى هاتين المرحلتين امرها هين اذ يمكن تفسيرها بالعربية مع الاحتفاظ بوضع رموزها العالمية بين قوسين

فلو نظر الداعون لاصلاح التعليم الى هذه الحقائق لكان من واجبهم ، عوض ان يحذروا من العودة بتعليمنا الى وضعه الطبيعى ، ان يدعوا المثقفين ، وخاصة من يحسن اللسانين ، الى الانكباب على تأليف وترجمة الكتب المدرسية التى تقرب لناشئة البلاد العلوم والفنون ، وتزيل بعض حاجتنا الى هذه العلوم التى اصطلحنا على تسميتها بالعصرية ، والتى نقر جميعها بانها ليست وليدة اللغات الاوروبية وحدها او وليدة الفرنسية على الخصوص ، وليست العربية بعيدة عنها ، بل انها هى التى امدت اللغات الحديثة بجذورها الاولى ، وشاركت فى ازدهارها حقبة من الزمن ، يعترف لها بالفضل فى ذلك كل منصف ونزيه ٠

ولكن مالنا ولحديث التاريخ ، مالنا لاننظر الى الواقع فنعتبر بتجربة تدريس العلوم باللغة العربية ؟ ! وانى لا اتحدث عن تجربة الاقطار الشرقية لتدريس العلوم بلغاتها ، ولا احب ان اناقش ما يقال عنهم من انهم يفكرون فى العودة الى تدريس العلوم باللغات الاجنبية ؛ لا احب ان اخوض فى هذا لان الامانة العلمية توجب على من ينقل هذا ان يكون على صلة متينة بتجربة هذه الاقطار ، وان يوضح فعلا ما هى الاقطار التى كان فيها ذلك ، واى مراحل تعليمها وقعت فيها التجربة ، وما هى الغايات التى جعلتها تفكر فى العودة بتعليمها للعلوم باللغات الاجنبية ٠

ولكن هناك تجربة واقعة فى بلادنا ونحن على اتصال بها متين ، هى تجربة تدريس العلوم باللغة العربية فى المعاهد الثانوية الزيتونية ، وخاصة بصفوف طلبة الشعبة العصرية ، هذه التجربة التى قام بها اساتذة تونسيون فى مدارس تونسية ، اسفرت عن نتائج لها حظ من الاعتبار ، يبرهن عنه اكتساب خريجي الشعبة مستوى فى هذه العلوم يوازى مستوى من فرض عليه الاستعمار ان يتلقاها باللغة الاجنبية ، وفى هؤلاء الخريجين من قصدوا الجامعات فتمكنوا من اتمام تعلمهم العالى بنجاح ، ولهؤلاء الخريجين ان يذكروا هل ان العربية كانت عائقا لهم عن المهارة فى العلوم ، او هل ان العربية فى شكلها الحالى يمكن ان تكون لغة صالحة لتعليم العلوم ٠

ان حاجتنا الى المصادر الاصلية فى العلوم العصرية حاجة اكيدة لاهل الاختصاص من طلبة التعليم العالى ، ولكن ايكفى ذلك حجة للدعوة الى الحذر فى تعريب التعليم بجميع مراحله ؟ انغلب حاجة عشرات او مئات من طلبة الاختصاص فى التعليم العالى على الآلاف المؤلفة من التلاميذ الذين سيندمجون فى الحياة العامة من نهاية تعلمهم الثانوى او الابتدائى ؟

ان التعريب لايضع لنا مشكلة ، فانه يواجهنا بصعوبات منها ان الطلبة فى تعلمهم العالى يحتاجون الى حذق اللغات الاجنبية التى بها مصادر العلوم العصرية ، ولكن هذه الصعوبة يمكن تذليلها بطريقة سليمة ، تزيد فى قوة تعليمنا ولاتضر بمركز لغتنا القومية فى سائر مراحل التعليم ، هذه الطريقة هى توجيه طالب الاختصاص ، فى نهاية مرحلة تعلمه الثانوى ، الى زيادة العناية بلغة البلاد الاجنبية التى سيرحل لطلب العلم فيها ، او التى سيحتاج الى استقاء مصادر العلوم بها ، وماذا يضير لو زدنا لطالب الاختصاص قبل التحاقه بالتعليم العالى سنة او سنتين من عمره المدرسى ليزيد حذقا باللغة الاجنبية التى يحتاج اليها ؟! وسيجد نفسه فىغالب الاحوالمحتاجا الى غيرالفرنسية ، لان فرنسا لم تعد الآن من الدول المتفوقة فى العلم ٠

وبعد فهذه الكلمة لاتكفى لبيان ما ينبغى ان نتحدث به عن كل شؤون تعريب التعليم ، ولكن مهما كان الامر فانى ارى على العكس مما يراه دعاة الحذر فى التعريب ، ارى ان نتمسك بالجرأة فيه كما نتمسك بالجرأة فى جوانب الاصلاح الاخرى ، واقدر ان الجرأة فى الجوانب الاخرى قد تنتج مالا نرغب فيه ، اما الجرأة فى التعريب فاقل ماينتج عنها القضاء على ازدواج الثقافة ، ومحق التاثير الروحى للاستعمار ، وتطويع لغتنا القومية للعلوم ، واشعار ناشئتنا ان لسانهم لايعوقهم عن التطور والتقدم واللحاق بركب الامم الناهضة ٠

"المعربات" العلمية في اللغة العربية في العهد الوسيط

بقلم الدكتور محمد فريد غازي

تعرض (١) العلماء والباحثون ـ اولائك الذين كان ولم يزل دأبهم جعل اللغة العربية أداة مرنة قوية على التعبير عما في الحضارة الانسانية الجديدة من خلق مستمر ومظاهر و « تراكيب » جديدة ـ بالبحث في المصطلحات العلمية التي تحتاج اليها العربية ويحتاج اليها العرب • فقدموا لنا باقة فيحاء من

---

(١) بعض مراجع هذا البحث ـ 1 ـ **عربية اسلامية**
ابن النديم (المتوفى بعد سنة 377/987) **كتاب الفهرست**
ط• فلوغل • ليبزيغ 1898 ابوعبدالله ••• الخوارزمي (المتوفى في النصف الثاني من القرن الـ 4/10 م) كتاب **مفاتيح العلوم** ط•
فان فلوتين • ليدن • 1895 • ابو منصور الجواليقي (المتوفى 540 ببغداد) **المعرب** ط• القاهرة
ابن القفطي (المتوفى سنة 624/1227) : **كتاب تاريخ الحكماء** ط• القاهرة
ابن ابى اصيبعة (المتوفى سنة 640/1243) **كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء** ط• القاهرة
صاعد الاندلسي (المتوفى سنة 1068/1658) **كتاب طبقات الامم** ط• الاب شيخو • ترجمة ريجيس بلاشير • باريس 1936
2 ـ **مراجع غربية اروبية واميريكية** Loius Massignon : **La Science arabe**
(La science **Antique et Médievale** : Des Origines à 1450)
في الجز الاول من « تاريخ العلوم العام » باريس 1957
اشكر الاستاذ لويس ماسينيون الذى اهدى الى بحثه هذا ومكنني من مصادر اخرى • Georges Sartou : **Introduction to the History of Science**
جزأ 1 و 2 • بلتيمور 1927 ـ 1931 ـ ليدن 1938
Aldo Mieli : **La Science arabe**
Paul Kraus : Jabir Ibn Hayyan : **Contribution à l'Histoire des Idées Scientifiques en Islam.**
القاهرة 3 ـ 1943 ج 1 و 2
وفيما يعود الى المعربات العلمية في عصرنا هذا ، نشير الى دراسة اهداها الينا اخيرا العلامة البولوني يوسف بيلاوسكي
Joseph Bielawski : **Deux periodes dans la formation de la terminologie scientifique arabe,** في مجلة Rocznik في ortientalestyczny
ج 20 ص ص 26 ـ 32 ـ 1956 فرسوفيا

عملهم الذى مضى عليه الآن ما يقارب نصف القرن · وهذا العمل الذى لن يتعرض اليه بحثنا ، هذا العمل الشاق ، الضرورى ، دفعت الحاجة والضروف اليه دفعا · وهو عمل « المجامع العلمية العربية » التى ضمت هؤلاء العلماء والباحثين · عمل اذا ما نظرنا الى تطور اللغة العربية ونموها ، طوال القرون (2) يشابه مشابهة ظاهرة بينة العمل الذى قام به علماء العربية ، حين خرجت لغة العرب من مهد الجزيرة واستقرت واستقر ابناؤها فى سوريا والعراق و « الجزيرة » ، جنبا لجنب مع شعوب وامم متحضرة عريقة فى الحضارة ذات معالم ادبية وعلمية واثرية تبعث الاعجاب · وغرضنا فى مقالنا هذا البحث والاحصاء ـ بحث واحصاء اجمالى ـ للمفردات العلمية التى دخلت العربية عن طريق التعريب اثناء القرن الثالث والقرن الرابع للهجرة (التاسع والعاشر ميلاديا) ·

لقد امتزج العرب بامم كثيرة ، ومدنيات عظيمة اهمها مدنيات الهند وايران وبيزنطة ، ولكن هذا الامتزاج لم يكن ليخرجهم عن ذاتيتهم ولا ان يدخل عليهم الروح « الميطافيزيقى » الذى أمتاز به اليونانيون مثلا ، بل استمر العرب ، كشعب علمى ، تقوم علومه على التجربة العلمية ، لاعلى النظر الفلسفى وحده ·

ولم يصل العرب الى العلوم ، والى تعريب مصطلحاتها بطريقة نظرية ، بل وصلوا اليها بطرق الاختبار والتجربة ، حتى ان الاستاذ الكبير لويس ماسينيون قال : « والعرب ، حتى عندما يستعيرون من يونان « مقولاتها » النظرية ، فتقسيمهم للعلوم يتسم بصيغة عملية ملحوظة · « مقولاتهم » قبل كل شيء احصاء وبرامج · والمنهجية التى يتبعونها ليست من خلق العقل النظرى او هى مستمدة من الدراسة ومقاصدها · · · هذا الانقلاب على غاية من الاهمية ، لانه الاساس الذى قام عليه العقل التجريبى » (3)

وراى الاستاذ ماسينيون لابد ان نقارنه بحكم الفيلسوف الغربى الفرنسى ليوى ليون برنشفيغ ، فى دراسة عن « رقى وعى الضمير فى الفلسفة الغربية » ، الذى اعتبر فيه ان هذا « العقل التجريبى » (3ب) هو اسمى مظهر

---

(2) تجد فى دراسة
Johan Fück : 'Arabiya. Recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe.
ترجمة ك· دى نيزو · باريس 1955 (سمعت ان الدكتور النجار المصرى قد عرب هذا الكتاب وطبعه بمصر) · ـ بحثا ممتازا عن تطور العربية من اول خروجها من الجزيرة الى الآن

(3) انظر ص 433 L. Massignon : **La Science arabe**

(3ب)
Léon Brunschvig : **Le Progrès de la conscience dans la philosophie occidentale**
ج1 · باريس 1927

ومرحلة يمكن ان تدركها حضارة من حضارات الانسان• وهذه العقلية العلمية التجريبية تميز الحضارة العربيـة وكذلك الحضارة الصينية وحضارة الغـرب (فى مرحلتها الحـاضرة) • امـا بقية الحضارات (اليونانية ، والرومانيـة ، والهندية • • الخ) فلا يعتبرها الفيلسوف برنشفيغ قائمة على هذا الـروح التجريبى •

وفعلا ، ان نحن استثنينا « اخوان الصفا » (4) ونظرياتهم العلمية التى ضمنوها رسائلهم الخمسين ، وخاصة رسالتهم الجامعة (التى تنسب غلطا ، فيما اذهب ، الى الحكيم المجريطى) ، هذه الرسالة الجامعة التى نشاهد فيهـا النزعة التصوفية الفيثاغورية والنزعة الافلاطونية المحدثة ، قد احتلتا احتلالا بارزا ويكاد يكون تاما كاملا ، مكانة البحث العلمي والتجربة العلمية ، فراحوا يقسمون العلوم الى اربعة اقسام :

اولا : الحسابيات ، ثانيا : الطبيعيات ، ثالثا : العلوم العقلية ، رابعا : العلوم الالهية •

ولو استثنينا القسم الاول ، وهو لايحتل فى الحقيقة الا مكانا جزئيـا لما وجدنا لدى « اخوان الصفاء » وفى رسائلهم اى نـوع من انـواع التجربة العلمية العملية ولعل مـوقفهم هذا مرتبط بالحالة التى كـان عليها المجتمع الاسلامى فى العراق ، ولعل موقفهم نقطة تحول من التفكير العملى الى التفكير النضرى الصرف ، الذى ادى فيما بعد ، الى عصور التقليد والجمود (5)

ولحسن الحظ ، لم يسرعلى طريقتهم الفيلسوف الاسلامي ابو نصر الفرابى (6) الذى امتاز بمكانة ذات قيمة فى الفلسفة الاسلامية حتى سمى « المعلم الثانى » ، فنراه فى كتابه « **احصاء العلوم** » ، يقسم العلوم الى خمسة فروع (7) •

---

(4) انظر

Adel Awa : L'esprit critique des « Frères de la Pureté » Encyclopédistes de **l'Islam**

بيروت 1954

وجبور عبد النور : **اخوان الصفاء** ، بيروت 1956

(5) انظر البحوث المتعة عن « الكلاسيكية والتقهقر الثقـافى فى تاريـخ الاسلام »

Classicisme et Déclin Culturel dans l'Histoire de l'Islam. (Actes du Symposium International d'Histoire de la Civilisation Musulmane)

باريس 1957

خاصة بحث و• هارتنر : « متى وكيف وقف تطور العلوم فى الاسلام » ص ص 319 ــ 338

(6) انظر عنه بحث الدكتور ابراهيم مدكور « مكانـة الفرابى فى الفلسفة الاسلامية »

La place d'Al-Farabi dans l'Ecole philosophique musulmane باريس 1938

(7) انظر : **كتاب احصاء العلوم** ، القاهرة صص 1 و 2

ولم ينهج مثل نهجه الفيلسوف ابن سينا (8) ، فى كتابه « **اقسام العلوم العقلية** » (9) ، فقسم العلوم الى « علوم اصلية » و « علوم فرعية » (10) غير اننا ، ـ متى قسمنا العلوم وبحثناها ، ـ فلانجد المصطلح العلمى ، الا فى مرجع كاد يكون مجهولا الا عند خاصة من العلماء ، وهذا المرجع الهام الاصيل هو كتاب « **مفاتيح العلوم** » الذى الفه ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الخورازمى ، من اهل القرن الرابع الهجرى / العاشر ميلادى (11) ، من مواليد بلخ ؛ وكثيرا مايغلط الباحثون ، فيجمعون بينه وبين محمد بن موسى الخوارزمى الرياضى الذى عاش ايام الخليفة المامون ، فى عصر نقل الكتب اليونانية والسرياتية الى العربية على يد رجال « بيت الحكمة » التى سهر عليها سهل بن هارون هذا الخوارزمى الذى الف كتاب « **المختصر فى الجبر والمقابلة** » (12) وصاحبنا ابو عبدالله ، فارسى الاصل (13) ،كان كاتبا للوزير السامانى ابو الحسن عبيد الله بن أبى العتبى الذى احتل مكانة بارزة فى بلاط أمير نيشابور نوح الثانى ، من آل سامان (حكم من 366/976 الى 387/997) • وعرف الخوارزمى كثيرا من بلدان الاسلام ، فى رحلاته المتواصلة وكان عالما ، عرب اثارا يونانية ذات قيمة مثل كتب اقليدس Euclyde ونيقوماق Nicomaque وهيرون Héron وفيلون Philon ولكن اشهر مؤلفاته « **مفاتيح العلوم** » الذى جعلناه من اهم مصادر بحثنا هذا• والذى الفه صاحبه حوالى سنة 976 ميلاديا (14) وهو كتاب ضمنه صاحبه ، حسب قوله (15) « **مابين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التى خلت منها او من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة** » (16) •

(7) انظر : **كتاب احصاء العلوم** ، القاهرة ص‌ص 102

(8) انظر 433 ـ 436 L. Massignon : **La Science arabe**

(9) نفس المرجع

(10) نفس المرجع

(11) انظر دائرة المعارف الاسلامية : مقالة E. Windemann عنه : ج 3 ص 965

(12) انظر عنه Solman Gaudz : **The Source of Al-Khowarizmi's Algebra** فى مجلة Oseri التى تصدر بمدينة غند (بلجيكيا) ج1 (جانفى 1936) ص‌ص 363 ـ 377 و ج2 ص 176 Sarton : **Introduction**

(13) السمعانى **كتاب الانساب** (مخطوط المكتبة القومية) باريس فصل : الخوارزمى

(14) عن تحقيق التاريخ ، انظر ج1 ص 659 Sarton : **Introduction**

(15) ص 3 و ج1 ، ص 386 Brown : Litterary History of Persia

(16) ولايقل فى رائى فضل الخوارزمى عن فضل البيرونى صاحب « **تحقيق ماللهند من مقولة** ...» ط• سخاو

وتقسيم الخوارزمي ، للعلوم ، و « المصطلحات العلمية » هو في الحقيقة تقسيم ارسطو Aristot لاننا نراه يحشر في « علوم العجم » : الرياضيات (الحساب والهندسة) ، والطبيعيات ، وما بعد الطبيعة او الالهيات ٠

ونستغرب بعض الشيء حين نراه (وقد سار على منهج استاذه ارسطو) يجعل هذه العلوم التي اعتاد معاصروه حشرها في « العلوم العملية » في قسم « العلوم النظرية » ، منها

ماله مادة وصورة : كالطبيعيات ، وعلم الطب ، وعلم الآثار العلوية ، وعلم المعادن ، وعلم النباتات ، وعلم الحيوان ، وصناعة الكيمياء ٠

ومنها : **الفنون التعليمية** : كالعلوم الرياضية وعلم الهندسة وعلم النجوم وعلم الموسيقى ، واخيرا علم الحيل (مانسميه اليوم بالـ Mécanique

ونـراه يحشر معها جـزءا هاما هو « علم الامـور الالهية » ـ ماسماه اليونانيون بـ « الثيولوجيا »

ولكن الباحث لايمكنه ان يتبع طريقة الخوارزمي في تقسيمه العلـوم ، فرغم ما للعلماء المسلمين من فضل في معرفة علـم يونان وفي التعريف بـه لغيرهم من امم الغرب ، فهم قد اخطؤوا في تقسيمهم ـ كما رايناه مع « اخوان الصفاء » والخوارزمي ـ لانهم اتبعوا طريق ارسطو ، وارسطو قد ظل السبيل السوي ٠

ولكن الباحث في المصطلحات العلمية في اللغـة العـربية في القـرون الوسطى لابد ان يأخـذ بعين الاعتبار ، لا تقسيمهم للعلوم ، بـل ماجمعوه من معربات ، عليه ان يقسمها بدوره ، حسب « مقولات » عقلية واضحة معقولة ٠

لابد ان يراعي اولا ، بعدما اخذ بعين الاعتبار ، اهمية العقل التجريبي عند العرب ، وكيف صبغ المصطلحات التي استعاروهـا من الامم المجاورة او وضعوها بانفسهم ، بصبغة « التقدمية » التفكيرية ، ـ لان الفرابي وابن سينا ، كلاهما ، قد اعتبر ان النظرية لايمكن ان تحل ابدا مكان التجربة ـ عليه بدوره ان يبحثها حسب طريقته ، وطريقتنا في البحث هي ماسماه علماء الاجتماع بالـ « الاتصال » Contact لان هذه التجربة العربية ، في حقيقة الامر ، استرسال للتجارب الجمة المتنوعة التي قامت بها الشعوب المتحضرة التي سبقت العرب في ميادين العلـوم « التطبيقية » ونحن لايمكن ان نـدرك مدى هذه وتلك الا بالعـودة الى المفردات العلمية التي استعارهـا العرب من تلك الشعوب التي تدخلوا معها ٠

العـرب والصـين

اول الشعوب التي يجب ان نذكرها ، لنأيها عن الدار العربية ، شعب الصـين ٠

لقد اتصل العرب اثناء القرن الثاني للهجرة الثامن ميلاديا ، ايام الخلافة العباسية وخاصة ايام خلافتي هارون الرشيد والمأمون ، بامبراطورية : آل طنع Tang التي حكمت شعوب الصين طيلة ثلاثة قرون ٠

ورغم هذا الاتصال ، والى حد الآن ، لم نجد فى الدراسات التى خصصت لعلاقــة العرب بالصين ، خاصة دراسات رينــو J. T. Renaud (17) وشارل شيفير Ch. Scheffer (١٨) مايبرهن على ان العرب قد استمدوا من الصين بعض المعربات ، ولكن ، قد اكتشف علماء باكستانيون حديثا ان القرآن قــد احتوى على بعض المعربات الصينية التى يعود عهد دخولها فى اللغة العربية ، الى عهود بعيدة وبعيدة جدا • (19)

ونضيف الى كلمة كــرسى ، وخزانــة ، كلمة اخــرى : « بغبور » او « فغفور » (20) ، (التى دخلت لهجتنا هى ايضا : « فرفورى ») فى القرن الثانى

العــرب والهنــد

ولم يكن الامر كذلك بالنسبة للهند • فكتاب البيرونى « **تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة أو مرذولة** » ، يكفى وحده للدلالة على مدى الاتصال وقــوته بين العرب والهند • ولقد تعرض العالم ج•ت• رينو J. T. Renaud منذ ما يزيد على قرن تقريبا ، لهذا الاتصال ، وبحث مدى تأثير الهند على العــرب ، ولكن بحثه عن الاتصال بين العرب والهند فى الميدان العلمى لم يف بحاجتنا بل لم يطرقه كما ينبغى ان يطرق البحث •

وهذا الاهمال لايمكن ان نتلافــاه الا اذا عدنا من ناحية الى « مفــاتيح العلوم » للخوارزمى ، ومن اخــرى الى الدراسات الحديثة التى ظهرت حــول اتصال العرب العلمى بالهند •

(17) انظر
J. T. Reinaud : **Relation de Voyages faits par les Arabes et les Persans dans l'Inde et la Chine dans le IXe Siècle.** باريس 1845
Jean Sauvaget **Relation de l'Inde et de la Chine,**
(اخبار الهند والصين) باريس 1948 ، خاصة مقدمته وملاحظاته الممتعة •

(18) انظر
Ch. Scheler : **Notice sur les relations des peuples musulmans avec les Chinois depuis l'extension de l'Islam jusqu'à la fin du XVe Siècle** باريس

(19) ومن هاته كلمة كرسى وكلمة خزانة • انظر
Mahdi Hasan : **Kursi ou Trone. Un mot chinois dans le Coran. Bombay** Branche of Journal Royal Asiatc Society .
ج 28
وكذلك بحثه عن : **Le mot hazana** نفس الجزأ
وقد تعرض لهذا النوع من المعربات كل من الاب الكرملى **فى نشو اللغة العربية** 1938 وجرجى زيدان فى **تاريخ اللغة العربية** • ط• ثانية • القاهرة 1922 بعد مــا صحح ماجاء من اغــلاط عند الخفاجى فى « **شفاء الغليل** » والسيوطى فى « **المتوكل** » •

(20) خوارزمى • **مفاتيح** ، ص 120

الرياضيات : صفر ، دخل العربية بطريقة اللغة النبطية : واصلها رقان الذى ترجم « فارغ » ثم صفر (٠) (21)

التنجيم والفلك : النهبهر ، او النوبهر : « تسع البروج » (22)

الادوية : حصص ، او « كحل الحولان » (23) الطاليسفر : « قشرة تجلب من بلاد الهند » (24) الساذج « ينبت فى اماكن من بلاد الهند » (25) الفاغرة « النيلوفر الهندى » (26) ، الاطريقل واصله الهندى « ترى ابهل » (27) والانبجات « حمل شجرة بالهند يربب العسل » (28) ، والسكنجبين ، وأصله « شنكليل » وهو نوع من العسل والخل ، ويرى الاستاذ كولان Collin ان هذه الكلمة دخلت العربية على طريق اليونانية (29)

وتجد كذلك كلمة جندركند واصلها صندراكنت : نوع من البلور (30) وجوهر واصلها قوترا ، وقد دخلت العربية من طريق الايرانية (31) وكلمة كستورى والتى دخلت ايضا بطريقة الفلهوية الى العربية · ولابد ان نذكر كلمة سرنديب « ارض الذهب » واصلها « صوقرنا بهومى » (32)

لا اشعر انى قد اعطيت حق الهند من المعربات التى دخلت العربية ، ولعل احسن شىء للتكفير عن خطا هذا ان اعود بكم الى دراسة الاستاذ بيلا Pellat عن « الانواء » (33) وقد اشاد الاستاذ فى فصله هذا بفضل كتاب « **السند هند** » او Siddhanta الذى بعث العرب على ان يتقدموا فى ميدان علوم الفلك · وقد وصل هذا الكتاب الفكر العربى على طريق فارس ، شأن **كليلة ودمنه** ، وتحت عنوان **زيج (اوزيج) الشاه** ·

(21) نفس المرجع ص 58 ودائرة المعارف الاسلامية مقالة (صفر) لروشكا ، وجابر ص 179

(22) نفس المرجع ص 226

(23) نفس المرجع ص 170 · **وكتاب تحفة الالباب** (ط· كولان وريتو) ص 166

(24) خوارزمى **مفاتيح** ص 170

(25) نفس المرجع ص 171

(26) نفس المرجع

(27) نفس المرجع ص 176

(28) نفس المرجع ص 177

(29) نفس المرجع ص 176 **وكتاب التحفة** ، ص 143

(30) نفس المرجع

(31) كراوس : **جابر بن حيان** ، ص 170 عدد 4

(32) نفس المرجع ، ص 91 ، و 91 عدد 4

(33) انظر
Ch. Pellat : Dictons rimés, anwa' et mansions lunaires chez les Arabes
مجلة Arabica (ارابيكا) ج2 ، جانفى 1955 ، ص 19 ومابعدها ، وخاصة ص 35 — 39

العـرب وايـران : وليس هنا مجال البحث ـ بحثا كاملا وافيا ـ عن اتصال العرب بايران • لقد اتصل العرب بايران قبل الاسلام ، واتصلوا بايـران بعد ظهوره (34) •

كلمات حضاريـة (35)

اوانـي : كوز ، جرة ، ابريق ، طشت ، قصعة ، طاجين

اقمشة : ابريسم ، خـز ، سندس ، ديباج •• الخ

مـلابس : سراويل ، قلانس ، جوارب •• الخ

حجارة كريمة (36) الدهنج ، الفيروزج ، اللازورد ، المرقشيتا ، الطلق (37) ••الخ

طعـام : سكباج ، لوزنينج ، بوزنج ، كعك ، جردق ، سميذ (38)

زهـور : بستان ، ياسمين ، بنفسج ، جلنار

عطـور : مسك ، عنبر ، كافور ، قرنفل ••الخ

تـوابـل : فلفل ، كروية ، زنجبيل ، قرفة (38) ••الخ

بنـاء : دهليز ، ميزاب ، أجر ، ايوان ، افريز ••الخ

آلات موسيقى : ناى ، طنبور ، صنج ، (واصله جنك) اى « ذوالاوتار » والشهروز « آلـة مفيدة ابدعهـا حكيم ابن احـوص السعدى ببغداد فى سنة ثلاثمائـة للهجرة » (39) والبربط « العود » ، والدساتين (الرباطات) ، و « الدستان » « التى توضع الاصابع عليها » •

الادارة : ديوان ، فرسخ ، بند ، الفهرست : « ذكر الاعمال والدفاتر » (40) ، الروزنامج « كتاب اليوم » (41) والدستور « نسخة » (41) والاوستنج « المطوى والمجموع »

الاوزان (42) : السفتجة ، والطسوج « ثلث مثقال » والدانق « اربعة طساسيج» والدينار « اربعة وعشرون طسوج » ، والقيراط « ربع خمس مثقال »

---

(34) طه حسين : **ايـران والشعر العربى القديم** ، مجلة مستمع العربى ج4 (1943) ، عدد 18 و 19 و 20 و 21 عبد الوهاب عزام **الادب العربى والادب الفارسى** مجلة الرسالة مارس 1933

(35) انظرالدراسة الـوافية التى الفها ادى شير **الالفاظ الفارسية المعربة** بيروت 1908

(36) **مفاتيح** ص 260 وما بعد

(37) كتاب التحفة ص 203 و كراوس **جابر** ص 20

(38) وكلمات اخرى • **مفاتيح** صص 166 ـ 169

(39) نفس المرجع ص 237

(40) نفس المرجع ص 570

(41) نفس المرجع ص 58

(42) نفس المرجع ص 62 ـ 64

البريد « بريد دنب » اى الفرس المقطوع الذنب ، والاسكدار من « ازكودارى » « مدرج يكتب فيه عدد الخرائط » .

وان نحن لانجد للفرس فى العربية مستعارات تخص الفلسفة ، الا اننا نجد فى **الطب** (43) : الابهران من « الشرايين » ، والقولنج ، او القولون وهو « المعى » او « اعتقال الطبيعة لانسداد المعى » ، والسحج « تقشر الجلد » ، والفالج « استرخاء احد الجانبين فى الانسان »

الادوية : فلفل الماء (44) ونار مشك او « مسك غرناطة » (45) والسنحسوية (46) والجلنجبين « الورد والعسل » والسكنجبين « الخل والعسل » (47)

علم الفلك (48) الكندر « سير الكوكب نفسه فى حلك » او « التدوير » والنهار « مابقى من سير الكواكب ليوم وليلة » ، والكردجة « القطعة » او « الجداول » والبطيارج « البرج السابع » من الفارسى « بتياره » ، والكنارروزى « الذى يرى بالعشاء » ، والكنارشبى « الذى يرى صباحا » والدستورية « ان يكون الكوكب مباينا للشمس » ، والهيلاج ، جمعه هيالج « ادلة العمر » او « امرأة الرجل » بينما الكدخذاه « الكوكب المبتز على الهيلاج » « وهو الذى يدل على كمية العمر بسنين الزوج » او « رب البيت » الفردار « قسمة العمر بين الكواكب السبعة » « لكل كوكب منها سنون معلومة » والجان بختان « قاسم الروح » او « قاسم الحياة » والبرماهى ان يصير القمر بدرا وهو الاستقبال لانه يقابل الشمس حينئذ .

النيمبرى : « نصف الامتلاء الليلة السابعة » .

واما الزيج ، وعنه « كتاب الزيج » (او الزائجة) فهو « صورة مربعة او مدورة تعمل لمواضع الكواكب فى الفلك ، لينظر فيها عند الحكم لمولد او غيره واشتقاقه بالفارسية من زائش اى المولد ثم اعربت الكلمة فاستعملت فى المولد وغيره » والجوزهر « النقطتان اللتان تتقاطع عليهما من الافلاك سميتا العقدتين » .

الهندسة : كلمة هندسة نفسها من (هنداز) او (اندازة) ، ومعناها « المقادير » ، والهليلج ، او الدائرة ، دخلت العربية من اليونانية (50) .

---

(43) نفس المرجع ص 153 — 159

(44) نفس المرجع ص 171 ، وكتاب التحفة ص 160

(45) نفس المرجع ص 171 وكتاب التحفة ص 287

(46) نفس المرجع ص 171 ، ولايعرف صاحب التحفة هذه الكلمة

(47) وردت هذه الكلمة سابقا فى المستعارات من الهند

(48) نفس المرجع صص 223 — 227

(49) نفس المرجع صص 247 — 248

(50) نفس المرجع ص 209 ، وكراوس **كتاب جابر** ص 193

(50ب) انظر كراوس **جابر** ، ص 5 ، 19 (عدد 1) 21 ، 42 ، 53 ، 226 و 259 وقد قتلها كراوس بحثا وتعليقا

الكيمياء : الكور ، والبوطق ، والماشق ، والزاط ، والـزق ، والنوشناذر « الارواح » والبوط ابـربوط او الانبق « كـانون يشبه كانون القـلائين » ، والزاجات او « الارواح »٠

هذا شيء من المعربات التى دخلت لغتنا « العلمية » ــ بل قل اللهجات العربية ، فمن لايعرف كلمة ميزاب ، وطاجين ، وطاسة ، وفلفل ، وكروية ، وقرفة ٠٠٠الخ

العرب وحضارات البحر الابيض المتوسط

اقـوى اتصال واعمقه واثمره ، كـان اتصال العرب بحضارات البحر الابيض المتوسط ٠ وهذه الحضارات ، المتباينة المشارب ، المختلفة النزعات شملت ارض العراق التى قامت بها حضارة بابل (51) واشور ، وارض سوريا التى شاهدت الحكمة العبرية والتفكير الفنيقى ، وشملت وادى النيل وحضارة الفراعنة (52) ، واخيرا اهم حضارات البحر الابيض المتوسط اعنى الحضارة اليونانية (53) وهى اخصبها انتاجا واسماها تفكيرا وابعدها تقدما بالبشرية وبالفكر الانسانى ٠

ولقد اهتم العرب ، فيما اهتموا به ، بتعريب الكلمات العلمية اليونانية فترجموا من السريانية كما ترجموا من اليونانية غير ان النصيب الاوفر ، والسهم الاكبر ، كان للمعربات الاخيرة ٠ وان استطاعوا هضم الفكرة فانهم لم يصلوا بعد الى اعطاء محل الكلمة اليونانية لكلمة عربية فى كل مرة ، بل تراهم ابقوا كما كان الحـال بالنسبة للفارسية الفهلويـة ، الكلمة او الكلمات اليونانية والسريانية على حالها ٠ فاستطاعوا ان يخلقوا ــ وذلك لاول مرة فى التاريخ البشرى ــ تيارا علميا ذا صبغة عالمية ، تحدث عنها الاستاذ لويس ماسينيون فقال : « لقد كان يوجد قبل دخول العرب (ميدان الثقافة البشرية) علم يونانى وعلم فارسى ، وعلم هندى ، وكذلك علم صينى ، فلم يحاول الفاتحون العرب خلق تيار موحد لهذه العلوم ، بل تركوها على حالها ، وهذا فضل من فضائلهم٥ ان العرب اول من اعطى للعلوم هذه الصبغة العالمية التى نراها ، فى عصرنا هذا ، وهى خاصية من اهم خاصيات الفكر الانسانى المتقدم » (54)

نتعرض الآن لهذه الكلمات المعـربة ، التى دخلت الفكر العربى بطريقـة الترجمات ، والتى لم تكن فى بعض الاحيان تضبط المفهوم العلمى كله ضبطا كليا ، والتى جاءت العرب من حضارات البحر الابيض المتوسط ٠

---

(51) انظر A. Rey : La Science orientale avant les Grecs باريس 1930

(52) نفس المرجع

(53) انظر Pierre Brunet : **Histoire des Sciences dans l'antiquité** باريس 1930

Aldo Meli : **La Science arabe** وص 20 وما بعدها

(54) انظر ص 444 L. Massignon : **La Science arabe**

العرب واللغات السامية

العبرية : يختلف العلماء فى مدى تأثر اللغة العربية باللغة العبرية ، ويختلفون ايضا فى ضبط الكلمات المعربة عن العبرية ، وهم يذهبون الى ان كلمات الف ، وباء ، وجيم وميم ، وسين ، فى معناها الصوفى ، اوفى معناها المتعارف فى علم الصنعة مستمدة من الفكر العبرى • ونحن نترك لهؤلاء مسؤولية افتراضهم (55) •

العقادية : يذكر العلماء ، تعريب ابان ارى بكلمة « حجر العقاب » (56) و « عين الافعى » عن ابان ايجى) « موشى جى » (57) ، وكلمة كركدان العربية جاءت من كركيزانو ، وترجموه بـ « حريس» (حيوان ذو قرن واحد) (58)

السريانية : كانت اللغة السريانية (59) اللغة « الوسيطة » بين العرب وبين فكر يونان ، وعرب العرب من فكر يونان ماعربوا ، ولكن العجب اننا لا نكشف فى اللغة العربية العلمية فى عهدها الوسيط ، الا 8 كلمات سريانية بقيت على حالها ، و 38 كلمة يونانية بقيت فى العربية بصيغتها السرياتية •

وبين هاته الكلمات لابد من ذكر :

جنس التى تمكنت من الاحتفاظ بصيغتها السرياتية لا اليونانية وموسيقى ، وفلاسفة ، وفلسفى ، وهيولة ، والققنس ، والاسطقس (وجمعه استقسات) •

ومن الكلمات التى احتفظت بصيغتها اليونانية : كلمة ناموس

وعلينا ان نعترف ــ مع الباحثين ــ ان السرياتية قد افسدت على العرب بعض المصطلحات العلمية التى دخلت العربية عن طريقة لغة مدارس الترجمة السريانية خاصة مدرسة حدران (60) ، او ربما اخطأ العرب انفسهم ترجمة بعضها ، او اعتبارها شيئا آخر غير الشيء الاصلى • ويذكر العلماء كلمة (بنغلوس) ، التى تدل فى كتاب ديسقوريدس Dioscorides عن مادة معدنية ،

---

(55) انظر كراوس **جابر** عن الف (ص 267) وباء (ص 263) وجيم (ص 263) وميم وشين (ص 267)

(56) نفس المرجع ص 72 عدد 2

(57) نفس المرجع ص 74 وراجع الجاحظ : **كتاب الحيوان** (فهرس الكلمات)

(58) نفس المرجع ص 68

(59) الاتصالات الفكرية بين العرب والسريان من اهم الاتصالات انظر بحثا عاما عنها للدكتور خليل الجر

Khalil Georr : **Les Catégories d'Aristote dans leurs versons syro-arabes, Etudes historiques et critiques sur les traditions, les procédés des traductions et l'influence des versions syriaques sur les versions arabes**

خاصة المقدمة ، بيروت 1948

وص‌ص 409 — 413

(60) نفس المرجع • المقدمة

ترجمها ابن البيطار ، بـ « التوتيا » خطأ ، والتوتياء مادة يستعملها اصحاب الصنعة فى الكيمياء (61)

اليونانية : ارى نفسى مجبورا على تقسيم المعربات الداخلة فى لغتنا من اليونانية على قسمين : القسم الاول الالفاظ : التى احتفظت بصيغتها القديمة. القسم الثانى الالفاظ : التى ترجمت الى العربية (Calques).

ولابد للانسان ان يحترز ، وهو بصدد البحث فى الكلمات والمعانى الفكرية اليونانية التى دخلت العربية ، لانهامحل اخذ ورد ، ولم يجمع العلماء على يقين او صحه بعضها • ولنضرب مثلا ، مثل النحو العربى ، لقد ذهب الاستاذ ماركس Merx الى ان تقسيم اللغة الى اسم وفعل وحرف ، نتج عن المقولات المشائية التى دخلت الفكر العربى فى القرن الثانى هجريا (62) بل يذهب الى ان كلمات خبر ، وجنس ، ورفع ، وجر ، ونصب ، واعراب ، ترجمة لكلمات يونانية معروفة (63) • ولكن الدراسات الجارية اخذت تثبت بان النحو العربى قد تشبع قبل كل شىء بمقولات الفكر العربى ومعانيه النظرية وخاصة بعلم الفقه •• والبحث مايزال •

وهاته الكلمات اليونانية ، قد احتفظ لنا الخوارزمى بعدد لابأس به منها وجمع بول كراوس P. Kraus المتوفى سنة 1938 قسما كبيرا فى كتابه عن « جابر بن حيان » •

I ــ **الكلمات المعربة**

احتفظ الخوارزمى فى الفصل الخامس من الباب السادس فى « ذكر ملوك الروم » ، بالكلمات اليونانية الخاصة **بالتاريخ** والتى دخلت العربية (64)

الفلسفة : فلسفة ، الاسطقس «الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب كالحجارة والقراميد والجذوع » او « عنصر » ويضاه كلمة « اركان » (65) : الناموس « السنن التى تضعها الحكماء للعامة » ، وذهب بعض العلماء فى الاسلام الى ان الناموس هو ما وافق الشريعة الاسلامية •

---

(61) **انظر** Dioscorides : Materia Medica ط• دوبلر الاسبانى • مدريد 1957 (**الفهرست**)

(62) **انظر دراسة مركس فى مجلة المعهد المصرى**
Bulletin de l'Institut Egyptien 26 ـ 13 صص 1891

(63) نفس المرجع ص 20 ـ 23 خبر (ص 2) جنس (ص 21) رفع وجر (ص21) نصب (ص 22 : لم يجد مركس كلمة نصب العربية كلمة يونانية مقابلة) اعراب (ص 22 ـ 23)

(64) خوارزمى **مفاتيح** صص 112 ـ 114

(65) نفس المرجع ، ، ص 137 وكراوس **جابر** ص 6 (عدد 3)

علم الفلك : اصطرنوميا « علم الكواكب السيارة » (66) ، بوؤطيس « الحارس » ، قيفاوس « الاثافى » ، اللورا « معناه باليونانية الصبح لضوئه وتسميه العرب النسر الواقع » (67) ، نيخس « حامل العشاق » (68) قيطس « سبع البحر » (69) قنطورس حامل السبع ، الافيجيون « الاوج باليونانية » (70) الافريجيون « الحضيض » (70) البركيس « اختلاف المنظر » (71) ولا بد من ذكر الاصطرلاب : « مقياس النجوم » وانواعه (72)

الامراض : الترياق ، **والادوية** : الكيموس « المادة » ، الكيلوس « الطعام والشراب اذا فى المعدة » (73) السمقونيا ، البباليوس

الرياضيات (74) : الارتماطيقى « علم العدد » (75) ، جومطريا (76) الاسطوانة « جسم يبتدأ من دائرة وينتهى الى دائرة متساوية يحيط بها بسيط اسطوانى » (77)

الموسيقى : الموسيقى « تاليف الالحان » الموسيقور ، الموسيقار ، الموسيقيون « المطرب ومؤلف الالحان » ، (78)

آلات موسيقية : الارغانون « الآلة » الشلياق « آلة ذات اوتار لليونانيين والروم تشبه الجنك » ، اللور « الصنج باليونانية » (78)

الحرب (79) : منجانيقون « صناعة الحيل » البرطيس « فلكة تجربها الاثقال » المخل « خشبة مدورة او مثمنة تحرك بها الاجسام الثقيلة » **ابو مخليون** « حجر يوضع تحت هذا المخل فيسهل به تحريك النقل »

(66) انظر
Suter : Die Mathematiker und Astronomien der Araber und clir werk
ليبريغ 1900

(67) المصدر المذكور عدد ... Pellat : Dictions ص..من بحثنا
انظر منه ص 26

(68) الخوارزمى **مفاتيح** ص 212

(69) نفس المرجع ص 213

(70) نفس المرجع ص 221

(71) نفس المرجع ص 222

(72) نفس المرجع ص 232 ــ 233 وبذكر الخوارزمى من هاته الانواع السدس ، والنصف ، والتام .

(73) نفس المرجع ص 181

(74) نفس المرجع صص 184 ــ 201

(75) نفس المرجع صص 201 ــ 202

(76) نفس المرجع صص 202 ــ 209

(77) نفس المرجع ص 209 وكراوس **جابر** ص 171 ــ 172

(78) نفس المرجع ص 236

(79) نفس المرجع ص 179

الاوزان (79) : القنطار ، القيراط ، الباقلات ، القوطيل ، الدرخمى ، الطرطرطين ، القليخيون

النبات (80) : الجنطيانا ، Gentiane الافسنطين ، Absenthe الاناغليس ، Anegyris الاستخودوس ، Lavande Stoèdas « الحلخال » الانبريس ، Berberis الاسفرنج ، Asperge الايريسا او « السوسن الازرق » Iris bleu الاشقفوس (Sange) ، الاشقيت «الغسال » او « بصل الفار » ٠

كيمياء : وكلمة كيمياء نفسها ليست بعربية ولكن يونانية دخلت العربية عن طريق السرياتية (81)

2 ــ **نقل الكلمات**

وكثيرا ما تصادفك لا كلمة معربة بل عبارات منقولة نقلا وفيا عن اليونانى وان نحن لانشك بالمرة ان العرب قد نقلوا من فارس او من الهند او من السريان عبارات وجملا ، غير ان الجمل والعبارات اليونانية التى نقلوها عن يونان اوسع عددا ٠ وعددها الكبير ، ووجودها فى مختلف الميادين يبين مقدار الصلة التى تمت بين الفكر العربى والفكر اليونانى ٠ وان نحن نجد « المعانى » المنقولة من المعانى السرياتية وخاصة الارامية ، وفى القرآن نفسه (82) ، حيث يوجد حسبما يذهب اليه العلماء كلمات : قرآن ، وسبحان واغلب الكلمات على هذه الصيغة كسلطان وبرهان وحسبان ، ووحدان الخ٠ وكلمات كصلاة (فى البدأ صلوة) وكزكاة ، وماشاكل صيغتهما فان العدد الاكبر من العبارات اليونانية المنقولة توجد ولاشك فى المطلح الفلسفى الاسلامى (83) ولتجد فى دراسة المصطلح الفلسفى ، اقوى برهان على شخصية الفيلسوف الاسلامى الحق الذى يذهب فى نقله مذهبا اصيلا ٠ ولابد من التعرض لبعض هاته العبارات ٠

---

(80) كراوس : **جابر بن حيان** ، فهرست السماء ، النباتات ، والمعادن

(81) انظر مقالة الكيمياء Weidemann فى دائرة المعارف الاسلامية ج3 صص 1068 ــ 1076

(82) انظر دراسة ارتر جفرى

Arthur Jeffery : **The Foreign' Vocabulary in Koarn** بروده 1937

ولقد بحث علماء العربية هذه المسألة ولم يتفقوا على حقيقة الامر ٠ وبعدما انكر كثير منهم وجود معربات فى القرآن اتخذ كل من ابن دريد : **كتاب الاشتقاق** ، والخوارزمى **مفاتيح العلوم** وابن جنى **كتاب المخصص** موقفا وسطا ، من « ان جعلناه قرآنا عربيا٠٠٠»

(83) انظر

L. Massignon : **La formation desnoms abstraits en arabe et l'nfluence de modèles grecs** فى (مجلة البحوث الاسلامية) باريس 1934 صص 507 ــ 511

	ابن سينا	الفارابى	الكندى
Aristote de Anima	رسالة النفس	مقالة العقل	رسالة العقل
Anima Matera	العقل الاول	العقل بالفعل	العقل الذى خرج من النفس
Anima potentia	العقل الثانى	العقل بالملكة	العقل الظاهر

ودراسة كلمة Le propre du plaisir عند ارسطو تريك ان ابن سينا ، تحت تأثير الافلاطونية المحدثة قد ترجمها بـ « ماهية اللذة » والرازى بـ « مائية اللذة » ، واخوان الصفا ، فى الرسالة 16 بـ « خاصية اللذة » • فعند هذا تجد تأثير مدرسة برغامة Pergame التى أثرت تأثيرا مباشرا فى مدرسة الكوفة ، وعند ذلك تأثير مدرسة الاسكندرية التى أثرت فى مدرسة البصرة ، وعند هذا تأثرا بالرواقيين ، وعند ذاك بالمشائيين • ويجد الباحث فى المعجم الذى اضافه بول كراوس لدراساته عن جابر بن حيان ، عددا غفيرا من هذه العبارات المنقولة ، فقد اغنانا عن البحث (84)

ونفس الحالة توجد فى ميادين اخرى لان المترجمين كانوا ينزعون نزعات غير متحدة •

والكتب العربية المترجمة فى علم الطب (85) والكيمياء ، ميدان فسيح للبحث ، فى هذا الموضوع ، لمن شاء البحث (86)

الخاتمة قلت فى مطلع بحثى ان العرب قد استطاعوا سبك علوم الشعوب التى استعاروا منها علومها ، فى بوتقة واحدة ، فخرجوا منها بجديد لم ينكر اهميته ــ الى يومنا هذا باحث نزيه ــ خرجوا منها بنتيجة لاتنكر : الوصول الى درجة سماها الاستاذ لويس ماسينيون : « الفكر العالمى » • ولعل احسن برهان على هذا ، ان اسوق المثل الاخير ، هو مثل علم الجبر ، وهو علم يعده

(84) انظر كراوس : **جابر** (الفهارس)

(85) انظر L. Leclerc : Histoire de la Médecine chez les Arabes
صص 87 ــ 91 باريس 1876

(86) انظر Bertholet : L'Alchimie au Moyen Age
وقد احصى لوكلارك 15 مترجما فى القرن الـ 8 هجرى و 59 للقرن الـ 9 و 16 للقرن العاشر • نذكر من هؤلاء آل بختيشوع فى الطب ، وابن ماسويه ، وحنين ابن اسحاق واسحاق بن حنين ، وقسطا بن لوقا ، والكندى (المعروف بفيلسوف العرب) وثابت بن قرة وسرجون الراس العينى

الناس ، بحق ، « العلم العربي » ونحن لو نظرنا عن كثب فى مصطلحاته لوجدنا اكثرها غير عربية ، بل لرأيناها لو تعمقنا فى البحث انها مستعارة من الشعوب التى اتصل العرب بها اتصالا فكريا . فكلمة درهم « درهم » المستعملة فى هذا العلم مترجمة عن روبا Rupa الهندية ، وكلمة « شيء » من يوات توات Yawat Tawat (87) وكلمة « جذر » عن الهندية مولا Mula ولكن بعضها ، مثل كلمة جبر قد دخل الى العربية من اللغة البابلية Gabru

هذه الدرجة الممتازة من التنوع ومن الغنى ، ــ والتى تصل احيانا الى الغموض والتبلبل ، تجعلنا نؤمل ، ان يفكر العرب ، ــ العرب فى مجامعهم العلمية ــ فى تاليف قاموس كامل شامل ، يجمع الكلمات المعربة التى دخلت لغتنا ويشرح معانيها المختلفة ومعناها المصطلح عليه ، هذا القاموس الذى نعد بحثنا هذا دعوة متواضعة لتاليفه (88)

(87) انظر Solmon Gaudz : The source of Al-Khowarizmi's Aljebra
ص 272 ــ 274 L. Rodet : L'Algèbre d'Al-Kharizmi
المجلة الاسياوية ، باريس 1878 ص 5 ــ 98

(88) ولابد ان نذكر دعوة صديقنا الاستاذ تيي ، لوضع قاموس عام للمصطلح الفلسفى الاسلامى ، التى نشرها بمجلة ارابيكا سنة 1957 ، عدد 2

ملاحظات حول لغة القرآن

بقلم روبرت برنشفيغ
نقل الدكتور محمد فريد غازي

كانت لغة القرآن ، منذ القرون الوسطى الاسلامية ، الى يومنا هذا ، — محل نوعين من الدراسة • (*)

الاولى ترمى الى ضبط المعنى الاصلى للكلمات الواردة • والثانية تسعى الى اكتشاف « الاستعارات » القرآنية من اللغات الاخرى غير العربية (1)

وهذا البحث الجوهرى المزدوج لايستفرغ المادة القرآنية جميعها ولم يأت عليها كلها • ولقد درس العلماء حديثا دراسة منظمة مجموعات من الالفاظ القرآنية ، فنجحوا فى دراساتهم هذه نجاحا متفاوتا (2) • ولكن ، رغم هاته الدراسات لم تزل امامنا مبادين متنوعة علينا ان نقوم بدراستها من جديد ، ان لم يكن من واجبنا ان نفتح لاول مرة ، البحث فيها •

وسنحاول فى بحثنا هذا ، القيام بعمل لاشك انه باعث على الدهشة والاستغراب • وعلى كل ، فنحن نرجو ان يكون مثمرا • وهذه المحاولة تكمن فى ضبط الالفاظ وتأويلها **بطريقة سلبية** • وهذه الطريقة هى الضبط والمعاينة ثم التفسير لا لما نجد فى القرآن بل لما لا نجد فيه وكل بحث يستعمل الطريقة السلبية فى التنقيب يتعرض لاخطار شتى • ولكن هذه الاخطار ، مهما بلغت لاتخفينا حتى نزهد فى الدراسة ونعرض عنها اعراضا نهائيا ο فاذا ما اكتشفنا الصعوبات والحواجز ، وحصرناها ، اذا امكن لنا ذلك ، فالعالم يجد عندئذ حقولا واسعة وميادين عريضة يحق له ان يبحث فيها بحثا مستفيضا

(*) نشر هذا البحث فى مجلة « الدراسات الاسلامية » Studia Islamica ج3 ، (1954) ••• Jeffery : The Foreign Vocabelary of the Qur'an

(1) نذكر خاصة ، فى عصرنا هذا :
(الكلمات الاجنبية فى القرآن) • بارودا • 1938

(2) **خاصة دراسات**

لندن 1892	Torrey : **The commercial theological terms in the koran**
هال 1929	Talaat : **Die scelenlehre des Korans.**
برلين 1931	Sister : **Metaphernund vergleiche in Koran**
باريس 1943	Sabbagh : **La metaphore dans le Coran**

وبما اننا نتحدث عن القرآن فعلينا ان نعلم القارىء اننا سنجعل من مصحف عثمان المرجع الاصلي الذى نعتمد عليه • ومع هذا نرى لزاما ان نلقى هذا السؤال : هل ستؤدى بنا القرآت الشاذة التى ضبطها العلماء الاسلاميون الكبار ، خارج هذا المصحف ، والتى تختلف عنه ، الى التغيير من المعطيات المفيدة ، كما ستغير الاستنتاجات التى يمكن ان نخرج بها من بحثنا ؟

ويبدو لنا ــ اثر بحث اولى قمنا به ، ذلك البحث الذى يلزمنا ان نشرع فيه مرة اخرى فيما بعد لو اردنا التعمق فى الدراسة والتوسع فيها ــ ان الاهتمام بمشكلة من نوع المشاكل التى نبحثها لاقيمة لها ان نحن اكتفينا بالبقاء فى المرحلة الاولى من استنتاجاتنا الاولى غير ان القرآت الشاذة التى وصلت الينا والتى تخالف مصحف عثمان ، تبدو لنا من الوجهة اللغوية قليلة الاهمية تافهة المدى ومعرفة اسباب نزول الآيات وتاريخ ظهورها ظهورا متسلسلا ، سواء ضبطنا هذه التواريخ او لم نضبطها تماما لها اهمية اكبر ولكن هذا الامر يصير بلا اهمية ان نحن اردنا درس النص القرآنى دراسة **اجمالية** (لادرسه فى فترات مختلفة من نزول الوحى) وبطريقة سلبية •

تحليلنا سيكون سلبيا ، ولكن بالنسبة لاى شىء ما دمنا لا نملك من تلك الفترة من الزمن اثرا نثريا (3) وما ستكون ياترى قيمة هذه الملاحظات السلبية حول وثيقة لاتملك الامدى محدودا مهما بلغ اشعاعها وتنوعها •

وقد يكون مرجعنا الشعر العربى القديم ، مع ان هذا الشعر محل للشك كل الشك ، بل زد على هذا انه شعر (والشعراء يقولون مالا يفعلون !) • ونحن نفضل عليه دائما فى هذا الصفحات النثر العربى « الكلاسيكى » الذى نجده مذكورا منذ القرن الثانى والقرن الثالث للهجرة • ولكن بين هذا النثر وبين القرآن اختلاف فى الزمان والمكان والمقارنة بينهما تقع اذاك على صعيد آخر من البحث ومن جهة اخرى فمن البين اننا لايمكن ان نقارن بين لغة كتاب ــ مهما بلغ من الثروة اللغوية ــ وبين خصب اللغة العربية كلها ، اللغة العربية ذات القاموس الواسع العريض ، هذه اللغة التى كانت تستعمل فى ميادين مختلفة • والاعتراف بعجزنا او بنقصنا لايظهر معناه الحقيقى الا اذا اعتمدنا على مراجع اخرى • واول هاته المعانى هو ان المواضيع ــ العامة والخاصة ــ التى طرقها الكتاب العزيز ، تجعلنا لانجد هذه الكلمة او تلك فى معناها الذى نعرفه لها فى اللغة العربية •

---

(3) لايمكن لنا ان نعتبر « الاحاديث النبوية » من الناحية العلمية بشاهدة عن حالة النثر العربى فى عصر الرسول

ويمكن ان يوجه العلماء نقدا لمنهاجنا هذا وهو يقوم ، ان هو وجه الينا ــ على العدد الهائل من « الشواذ » اعنى الامثلة اللغوية الشاذة التى نجدها داخل القرآن وبالنسبة اليه ٠ والفرق ضئيل بين الـواحد والصفر ٠ ونحن نشعر بضئالة هذا المعيار الذى يذهب ، بفضل فـارق بسيط من صفر الى واحـد ، ذهابـا يحمل بحثنا من الذات الى العدم ٠ واحسن وقاية نتقى بهـا من هذه الهجمة المباغتة هو ان نشتد فى الحذر ٠وينبغى الا تقـوم ملاحظاتنا الا على كلمات مستمدة من اللغة الادبية المنتشرة انتشارا واسعا حقيقيا ٠ ولانعطيها قيمة الا اذا خلا منها النص القرآنى ، ومتى ما بعثتنا على ذلك تخمينات ذات قيمة لاشك فيها ان لم نقل قد بعثنا عليها اليقين ٠ وهى تـدعونا ان نفصل الافتراض عما هو عرضى ٠

سنتجه اولا نحو ظاهرة ، ظاهرة ان هى ترجع الى علم الصرف فهى ترجع ايضا وفى مقـدار واسع الى اللغة : استعمال صيغة التصغير ــ خاصة فى معنى الاكبار والتحقير والتعظيم والتصغير وهى كثيرة الاستعمال فى اللغة العربية فى كل زمـان ومكان ٠ وهذا الوزن « الكلاسيكى » الاصلى ، يقـع على صيغـة « فعيل » وكان يحلو للنحويين القدماء اطالة البحث فى الصيغ المختلفة التى يملكها هذا الوزن ، والتى كانوا يطبقونها على الصيغ الاسمية على اختـلاف انواعها ٠ ولقد اكثرت اللهجات العربية ، القديمة والحديثة ، من الصيغ الصرفية التى يمتلكها هذا الوزن واكثروا من هذه الصيغ التصغيرية وقـد استعـانوا بزوايد اجنبية عن اللغة العربية عند الحاجة (4)

ولقد عرف القرآن صيغ التصغير على وزن **فعيل** (ضم الواو وفتح العين) ان نحن اعتبرنا على هذا الوزن الاسماء التى على هاته الصيغة : **شعيب** (انظر ما بعد) ، **عزير** (سورة 9 ، اية 30)، **قريش** (106 الاية الاولى) **حنين** (9 الاية 25) هاته الاسماء التى ارى من حقنا ان نضيف اليها **سليمان** (انظر مابعد) ٠ ولكن فيما يعود الى الاسماء العامة ، فنحن لانجد الا مثلا واحدا ــ وهذه ملاحظة يبدو الى ان العلماء لم يلاحظوها الى يومنا هذا ــ فى العبارة التى لم تتغير : **يابنى** ، نجدهـا فى ست آيـات (11 ، 12 ، 41 ، 31 ؛ 5 ، 13 ــ 16 ، 17 ، 37 103) ونحن نجدها فى كل آية من هاته الآيات على لسان شيخ من شيوخ بنى اسرائيل او على لسان نبى ٠ وعلينا ان نلاحظ ان ثـلاثة فصول من « امثال سليمان » فى التوراة ، تبدا بهذه العبارة « يابنى » التى تصطبغ بصبغة دينية

(4) انظر خاصة دراسات
فينا ، ج 66 (1888) ص‌ص 407 ــ 411
فى مجلة ارابيكا (1954)ص‌ص 131 ــ 135

فى مطلع نصوص مشبعة حكمة (6) • وكيف يمكن لنا ان نفسر ان القرآن ، ان استثنينا هذه الآيات وهى ظاهرة خاصة لايفسح المكان فى الآيـات الحماسية او الخطابية الى هذه الصيغة فى التعبير بلغة عاطفية : هى صيغة التصغير • أينبغى لنا ان نفسر هذا الامر ، بان هذه الصيغة قد احس الناس احساسا ظاهرا او غير ظاهر – بانها مشبعة بشىء من العامية لايليق بكلام الله او هى صيغة غير مقبولة فى نثر مرسل وبنفس الطريقة ، وفى نفس الوقت يظهر لنا ان القرآن قد ظهر منذ البدء وهو يتميز باسلوب ممتاز رفيع •

ولنعرض الآن الى اللغة نفسها • انك تصادف فى القرآن عبارات عديدة نستثنى بالطبع الكلمات المستعارة استعارة بينة من اللغات الاجنبية) لاتجدهامن بعد فى اللغة ، والتى يفسر غيابها بالتطور الاجتماعى والثقـافى الذى حدث بين الفترة القرآنية وبين العصور التى تلتها • ويجدر بنا ان نبرز بعضها نظرا للاهمية الخاصة التى تصطبغ بها والتى لم نكن لننتظرها مثلا ان كلمة **امير** او **قائد** لا وجود لهما (بل لانجد بالمرة جذر **قود**) فى معنى رؤساء الجند والجيوش المنظمة • وكذلك كلمة **أدب** غير موجودة (بل لا وجود بالمرة لجذر **أدب**) (7) هذه الكلمة التى ستصطبغ بمعان متعددة متشعبة والتى سيكثر وجودها فيما بعد وتشمل ميادين واسعة تمتد من معنى حسن السيرة والسلوك الاجتماعى الى معنى الادب شعرا ونثرا • ونرى ان القرآن لايعبر عن « **الزمن** » بالعبارة الاصلية الكثيرة الاستعمال : **زمان** (او **زمن**) فى الوقت الذى يستعمل للمكان الكلمة المتداولة والكثيرة الاستعمال : **مكان** ، تلك الكلمة التى ستقترن فيما بعد بكلمة **زمـان** •

ونجد فى القرآن ، للتعبير عن « اللحظة » الكلمات الآتية : **حين** و **آن** و **وقت** وللساعة نجد **الساعة** و **أمـد** ، **ومدة** لفترة من الزمن • واخيرا كلمة **دهـر** لتطور الزمن المحتوم (8) • فهل نخرج من هذه الملاحظات بان كلمة **زمان** تلك الكلمة القديمة كل القدم فى اللغات السامية لم ترم بعروقها قديما فى اللغة العربية ؟ (9) او انها لم تتبوأ مكانتها فى اللغة العربية الا حين دخل على اللغة تطور ملائم لمفهوم عقلى اكثر من قبل ازاء الزمن •

وعلينا ان نضيف وان نلحق لهذا النوع من الكلمات التى لانجدهـا فى القرآن نوعـا آخر من الكلمـات نجدهـا فيه ، ولكننا لانجدهـا فى معناهـا

---

(6) إنظر مرلان – ليبزيغ 1926 ص135

(7) حاول بعض العلماء تفسير ادب والكلمات النابعة عن هذا الجذر ، من جمع كلمة داب (انظر دائرة المعارف الاسلامية • الطبعة الثانية ج 1 ص 180)

(8) ولاتحمل كلمة **عصر** وكلمة **عهد** فى القرآن معنى : « العصر »

(9) لقد اعلمنى زميلى وصديقى الاستاذ ريجيس بلاشير ان هـاته **الكلمـة** لا تصادفنا – او ان صادفتك فنادرا – **فى الشعر العربى القديم** •

« الكلاسيكى » المتعارف عادة ، ومعناه ان مفهومها الاخير لم يكن موجودا او يكاد لايكون موجودا فى عصر القرآن من هذا النوع من الكلمات نذكر كلمة **« قاض »** التى تيقنا انها لم تكن تملك فى تلك الفترة المعنى التى ستمتلكـه فيما بعد • وهذه الكلمة الاينبغى ان نضيف اليها كذلك فعـل **وجب** ، تلك الكلمة التى يستغرب القارىء حقا ان لايجدها تحت قلم كاتب من كتاب عصور ازدهار العربية ، ولكن ــ وهو امر يسترعى الانتباه حقا ــ نحن لانجدها فى القرآن او قل اننا نجدها ، ولكن مرة واحدة ، وفى معنى آخر معنى « سقط وانهار » (سورة 22 ، 36) (10) ومع اننا نتساءل اى معنى يبدو لك الزم من غيره فى الكتاب العزيز ، من معنى الوجوب ، هذا المعنى الذى نجده فى صيغ مختلفة ؟ ولربما علينا ان نضيف الى هذه الكلمات الدالة عن « الامر » وخاصة الدالة عن « النوع » و « الجنس » والتى سنتعرض لها فيما بعد والتى ينبغى ان نضعها فى نفس الطبقة فيما يعود الى تطور معناها الاصلى •

ومع هذا ، فاغلبية الملاحظات السلبية التى سنبحثها هنا ، تضم كلمات لانرى ما يدعو تاريخيا ولغويا دعوة صريحة للشك فى قدم استعمالها او قدم معناها • ولنقم ببحث اختبارى ولنأخذ ، دون تمييز ، احد حروف المعجم • لنأخذ حرف « ن » • وها نحن نجد ، من بين الجذور التى كثيرا ماتستعمل فى اللغة « الكلاسيكية » ثـلاثين جذرا ــ ولاشىء يدعونا هاهنا للقيام باحصاء عريض ــ كل جذر منها يبدأ بالنون ، ولكن لانجد منها فى القرآن ولو جذرا واحدا ، فى الحال الذى يحق لنا انتظار وجودها فيه •

نبغ ــ نبل ــ نبه ــ نتج ــ نتن ــ نجب ــ نجز ــ نحف ــ نحو ــ ندب ندر ــ نزه ــ نسج ــ نسق ــ نسم ــ نشد ــ نظم ــ نعس ــ نقد ــ نقط نقل ــ نقى ــ نكر ــ نمو ــ نهب ــ نهد ــ نهز ــ نهض ــ نوط ــ نوع نـوى (11) •

ولقد اشرنا من قبل وقلنا قولا فصيحا انهـا « جذور » ولم نقل انهـا « كلمات » وهو الامر الذى يجعل الكلمات السلبية اكثر عددا ولنستطيع ان نطيل هذه القائمة دون مغالاة فى البحث • ومن السهل الهين ان نقوم بنفس العمل فيما يخص اى حرف آخر تبدأ به الكلمة اعنى كلمات المعجم جميعهـا او ليس هذا مما يدل دلالة ظاهرة على ان القرآن لايحتوى الا على جزء قليل من المادة اللغوية العربية المتداولة ؟

وعلينا الآن القاء سؤال على انفسنا :

ــ هل نحن نملك طريقة تمكننا من ضبط الامور وتقسيمها وتفسيرها ؟

(10) قارن هذا المعنى اصليا بمعنى الكلمة الفرنسية Echoir, incomber

(11) غير اننا نملك فيما يعود الى الجذور الاخيرة الثلاث ، مثلا واحدا ، مثل : **نوى للنواة** •

لا أخفى على القارىء اننا فى الحالة الراهنة من بحوثنا لانملك عن حـالة اللغة العربية فى عصر الرسول وعن حالة اللهجات العربية المعقدة كثيرا من المعلومات بل ان كثيرا من التفسيرات التى يمكن ان تقدمها تبدو لنا غير معقولة او ضربا من المجازفة • وفى كثير من الاحيان ، نرى ان ليس من حقنا ان نغامر وان نقوم بعمل يمكن ان يتجاوز عملا بسيطا هو حصر الكلمات • غير ان محبة التطلع والبحث تستيقظ فى اذهـاننا اكثر فاكثر ، حين نلاحظ الاستعمال الكثير لبعض هذه الكلمات التى ليس لها مترادفات مستعملة ولنضرب بعض الامثلة : ان القرآن يورد مرات عديدة كلمة **حـوت** ولكنه لايورد ابدا كلمة **سمكة** (12) وهو يورد كلمة **بضاعة** او **تجارة** ولكنه لايورد ابدا كلمة **سلعة** • وهو يعبر عن معنى المنفعة فى اكثر الاحيان بكلمة **نفع** ، ولايورد ابـدا كلمة مستمدة من جـذر **فيد** ، وهو يعبر عن معنى « العدل » بكلمات مستمدة من جذر **عدل** او **قسط** ، ولكن لايورد ابدا كلمة من جذر **نصف** •

ويذكر معنى الانتقال والتغير بجذر **بدل** ولكنه لايورده ابدا بجذر **عوض**

فهل هذه ظاهرة عامة تلمح الى وضعية اللغة فى طور من اطوارها وفى وسط معلوم ، ام بالعكس علينا ان نذهب الى الاعتقاد بان هذه الظاهرة خاصية من خاصيات الرسول دون ان ندرك بالمـرة الاسباب الباعثـة على هذا اننا لنشعر براحة كبيرة عند الافتراض الاخير : الذى يجعلنا نرى ان كثيرا من الكلمات التى نشك فى انها كانت منتشرة انتشارا واسعا فى البلاد العربية قديما ، غابت عن القرآن لاسباب تعود الى الاسلوب والى التفكير • وقد يعسر التمييز بين الاسلوب والمعنى غالبا وفيما يعود الى الواقع المحسوس ، فقد يكون المنهاج العقلى للرسول ، السبب الاول فى هذا • ومن هذه الزاوية نـرى ان كثيرا من العبارات قد اهملها عمدا وفيما يعود الى بعض المعانى ذات الصدى الاخـلاقى يتضاءل الشك شيئا فشيئا فتقبـل عن رضى تفسير غيـاب بعض العبارات اللغوية عن موقف الدين الجديد ، ذلك الموقف الواعى •

❀ ❀ ❀

ان ذكر الطبيعة يتكرر مرات متعددة جدا فى عدة سور من القرآن ، سور على غاية من الروعة والجمال حتى ان كنز الكلمات التى تصور مشاهد الطبيعة المختلفـة ، يظهـر لمن يحاول ان يقـوم باحصاء كامل ، كنزا زاخرا ملآنا • وفعلا تجد فى ميادين كاملة مثل ميدان تصوير المناظر الطبيعية ، لغة ثريـة منوعة • ولكن تدخل عليك دهشة كبيرة حين تكتشف خلو النص من بعض

(12) لاحظ لاندبارغ ان الشعر العربى القديم يقدم عادة **حـوت** دون **سمك**
Landberg : Glossaire Dathinois ص 1100

الكلمات المتداولة . لن تتعجب حقا من غياب كلمة **ثلج** وكلمة **غابة** (I3) ما دمنا فى الجزيرة العربية . ولكن الا تتعجب ، الا تستغرب حين تعلم ان القرآن لايورد ، ولو مرة واحدة كلمة **رمل** ولانجد الا مرة واحدة كلمة **كثيب** (سورة 73 ، I4) (I4) .

وان نحن استثنينا ورودها مرة واحدة ، فى قصة يوسف (سورة I2 ، آية I00) ، فلا وجود فى القرآن لكلمة **بدو** . بل لا نجد اى كلمة او عبارة من الكلمات المتداولة فى حياة البادية ، ك : **صحراء ، وقفر ، وبرية ، ومهمه وفلاة ومجهل ، وفيفاء** (ومعنى **مفازة** فى القرآن ملجأ)

ولربما يجب فهم الكلمة الوحيدة الشاذة **قيعة** التى وردت مرتبطة بكلمة **سراب** ، هى ايضا فى هذا المعنى. ولعل الرغبة فى تنميق الاسلوب هى المسؤولة عن اهمال هاته الكلمات ؟ ولكن هذا افتراض لانجد مايمكن ان يؤيده فى ميدان التفكير العام .

ولربما يجب ان نرى ، بالعكس ، ان موقفا فكريا معينا قد ادى الى غياب بعض من هذه الكلمات هذا الموقف الذى من الصعب اهماله .

ان القرآن الذى يشعرك شعورا قويا بحوادث الطبيعة الكبرى وانقلاباتها ويتعرض ، اكثر من مرة لتسلسل الليل والنهار ، لايتعرض لتسلسل الفصول فلا تجد فى القرآن كلمة **صيف** ولا كلمة **شتاء** الا مرة واحدة ومعا فى سورة من اقدم السور القرآنية (I06 ، 2) بمناسبة ذكر قافلة اهل المكة . ولكنك لاتجد كلمة خريف ، ولا ، — وهو امر حقيقة مدهش — كلمة **ربيع** ، تلك الكلمة الشهيرة فى حياة العرب ، الكثيرة التداول : ربيع الصحراء . ولا **ربيع نجد** ، الذى يظهر معه الزرع ، وتعود الحياة للانسان وللحيوان .

والاهمية الخاصة التى انيطت بالاشهر القمرية وكذلك بالانواء وباصلاح الرزنامة ، فى فائدة سنة قائمة على الاشهر القمرية فقط (سورة 9 آية 36) توافق اهمال تسلسل الفصول هذا . ولم تلبث اسواق البلاد العربية التجارية الجاهلية — التى كانت تقوم على تسلسل الفصول — حتى دخل عليها الكساد من جراء هذا التغيير .

ولربما غياب كلمة **ربيع** تعود الى نزعة جديدة تريد درأ كل مواضيع الشعر الجاهلى والحط منها وكسر ذلك الشعر الذى كثيرا ما يستعمل كلمة ربيع .

(I3) وكلمة **ايكة** التى نجدها اربع مرات فى الكتاب العزيز تعود الى شعاب بلاد مدين .

(I4) راجع فيما يخص احقاب (سورة 96 ، آية 2I) ، الذى يفسره المفسرون عادة بكثبان الرمل ، وان كان يعنى ايضا « جبلا » — فى معناه الجنوبى العربى ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية ج I ص 265

وتفس النزعة تسهل علينا تفسير اهمال عبارة اخرى كعبارة **بدر وانواء** ولاشيء يعارض افتراضنا حين نرى ان غياب هاتين الكلمتين يعود الى رفض واهمال ضمنى لعادات الجاهلية وعقائدها تلك العقائد التى حث الاسلام على اهمالها واستئصالها (15)

❀ ❀ ❀

ولننظر الآن نظرة سريعة لجسم الانسان اولا ثم لدنيا النبات والحيوان ٠ ففى هذا الميدان ايضا ، ينكشف لك غياب عدد من الكلمات العادية والعادية جدا ، فيما يعود الى جسم الانسان واعضائه ٠ وسنتعرض فى الميدان تعرضا وجيزا ، وبتردد للكلمات التى نرى فى غيابها عاملا من عوامل الصدفة ٠ مثلا كلمة **حاجب وصدغ وورك وفخذ** ٠ وكذلك لانجد كلمة **كتف وعاتق ومنكب** وان وجدت كلمة **مناكب** (فى آية واحدة : سورة 67 ، آية 15) فعائدة على مهامه الارض الواسعة ٠ وتتعجب كثيرا من ان لا تجد ، ولو مرة واحدة ، كلمة **كبد** ولاتصادف هذا الجذر الا مرة واحدة : **كبد** (فتح الكاف والباء وتسكين الدال) (سورة 41 ، آية 40) فى اسلوب تصويرى للقفار ٠ وتزداد دهشتك لانك تعلم ان « كبد » تحتل مكانة ذات بال فى التفكير السامى القديم وفى التعابير التقليدية العربية الفكرية (16)

وهنا **ايضا** نلقى على انفسنا سؤالا دون ان نتمكن من الجواب عليه : اتعود هذه الامور الى المعنى ام الى الاسلوب ؟ والجواب على سؤال كهذا ، يتمتع ببعض الوضوح فيما يعود الى كلمة اخرى اقل غموضا من سابقتها ، لانها كلمة اساسية فى حياة العرب ، نعنى كلمة : **تمر** ٠ ان هذه الكلمة لاوجود لها فى القرآن ٠ ويذكر العرب النخيل كثيرا ، يذكرونه بجذوعه وجريده ونواره المبرعم وهامته المحملة ثمرا ٠ وفعلا تجد فى الكتاب العزيز كلمة **قنوان** (بكسر القاف) وكلمة **نوى** ، وكلمة **قطمير** ، **ونقير** ، **وفتيل** ، والكلمات الاخيرة الثلاثة تعنى كمية قليلة جدا من التمر ٠ ولايذكر الكتاب الكريم التمر الا تحت كلمة **رطب** (سورة 19 آية 25) او هو يذكره فى عبارة **ثمرات النخيل** (سورة 16 ، آية 67) ولربما السبب الذى ادى الى غياب هذه الكلمة هو انها تشعر السامع ان هو سمعها ، بشيء مبتذل يذكره بالاكل والطعام ، وقد تذهب بهذا النثر الفنى ذى الوقع الجميل ، الى شيء من الابتذال ٠

---

(15) عن الانواء انظر دراسة الاستاذ بلا   فى مجلة ارابيكا 1955 ص 30 ٠ وتجد فى لسان العرب ، ج 1 ص 70 (اسفل الصفحة) احاديث نبوية تحكم بالاعدام لاعتقاد الناس فى النجوم الممطرة ٠

(16) انظر خاصة

(اشكر فضل الاستاذ ويليام مارسى) الذى افادنا بهذا المرجع صص 429 — 444 باريس 1909

ثالثا ، حين ننتقل الى الحيوانات ، نلاحظ غياب كلمة **فرس** • وغيابها لايعنى ان القرآن يجهل هذه الدابة ، ولكن معناه ان القرآن كلما ذكرها وكثيرا ما يذكرها فى آيات متعددة ــ يذكرها بكلمة **خيل** • وتجد كلمة **حمار** و**حمير** عدة مرات • وكلمة **جمل** لاتصادفها الامرة واحدة (سورة 7 آية 40) ، فى عبارة تذكرك بالتوراة • ولا ينظر القرآن الى الفرس كدابة بمفردها بل كنوع او كجمع اكثر مما نجد **خيل** (17) والامر يعود فى راينا دون منازع الى نظرة الرسول العقلية الى الوجود والاشياء • وتعود دون شك الى تفكير محمد اللاشعورى ذلك التفكير الذى تفرضه فى اغلبيته البيئة الفكرية والاجتماعية التى عاش فيها الملاحظات الآتية التى سنربطها بثلاثة انواع من المعانى الاساسية

اولا : ان الكلمات التى تدور حول « التنظيم » و « التنسيق » لانجد فى القرآن اى جذر من الجذور التى تعبر عنها عادة كـ **نظم** ، **نسق** ، **رتب** • وهو ، ان ذكر الكون ، يلح فى ذكر الحوادث الطبيعية والبيولوجية ، وتسلسلها البديع : لاترى فى الارض ولا فى السماء خللا بل تبصر نظاما كيانيا شديد التعقيد والروعة والجمال • ولكن هذا الكمال فى التكوين وهذا التوازن الديناميكى يشهدان بعمل الخالق ، لاننظر اليهما من زاوية التجزئة المنطقية او الترتيبية او من زاوية النظام المضبوط • وانك لاتجد كلمة **ضبط** فى القرآن كما لاتجد الكلمات العربية التى تعبر عن النوع كـ **نوع** و**صنف** (بل لنترك جانبا كلمة **جنس** التى هى ايضا لا وجود لها) ، و**فن** (و**ضرب** فى هذا المعنى) ولا تجد الا كلمة **الوان** ، من حين الى آخر • وتجد مرات عديدة كلمة **زوج** ، وجمعها **ازواج** (18) فتكتشف ان معنى « نوع » لم يصل بعد الى مرحلة التجريد التى سيبلغها من بعد •

ثانيا ــ ومن الغريب ان نلاحظ ان المعانى التى تدور حول الجوع ، (**جوع مخمصة** ، **مسغبة**) والظمأ (**ظمأ**) موجودة بكثرة ولكن الجذور التى كثيرا ماكان يستعملها العرب فى هذا المعنى كـ **شبع** ، **روى** و**نهل** ، غير موجودة فى القرآن والمثل الوحيد ، مثل لم يستقر راى العلماء حوله ــ مستمد من جذر **رتع** (سورة 12 ، آية 12) نجد هذا المثل فى قصة يوسف (لايفند ما نذهب اليه من رأى واننا لنميل ميلا كبيرا ، بهذه المناسبة ، فنخرج من المشاهد الخلفية قلة ضمان موارد البلاد العربية الغذائية •

ثالثا : فى هذا الكتاب الذى صدر عن مدينة تجارية ، والذى يستمد من التجارة والمحاسبة كلمات واستعارات كثيرة يجب ان نعتبر اعتبارا لايخلو من معنى ، بالعكس ، فقر القرآن من الاشارات التى تعود الى الحياة الصناعية فأكثر

---

(17) ولا نعلم بالضبط هل ان **العاديات** (سورة 100 ، الآية الاولى) تعود على الخيل او على النياق

(18) **واطوارا** (فى سورة 71 آية 14) تعنى « مراحل » لا « انواعا مختلفة »

الكلمات التى تعنى الصناع فى مختلف صنائعهم مفقـودة · الا كلمة **فخار** ، نجد ذكرها مرة واحدة (سورة 55 ، 14) وربما تحت تأثير التوراة وعائدة ، فيمانرى ، الى اللاله الخالق وهو امر نادر · وانك لتفقد جذورا كثيرة وانت فى هذا الميدان ، وتبحث عنها بلا طائل · مثلا الكلمات النابعة عن جذر **نسج** او **حوك** · ولاتجد كذلك الكلمات المتداولة العادية ، كـ **سدى ولحمة** · والحياة الرعائية نفسها ــ ان استثنينا بعض مظاهرها العامة ــ لانملك عنها كلمات ذات بال : فـ **جزز وحلب** لا وجود لهما فى القرآن ·

ولكن الفلاحة تتمتع بشيء من الملاحظة الدقيقة فتجد معانى وجذور **حرث** و **زرع** ، و **حصد** ، غير انك تفقد **غـرس** · وان رايت فى القرآن احيانا ذكرا للغلال والحبوب ، دون تخصيص ، فلا تجد بالمرة كلمات عادية كـ : **قمح وبـر وحنطة وشعير ودقيق** · ولاتجد كذلك كلمـة او جـذر طحن **ورحى** · وفى الجملة فانك تجد من ناحية شيئا من الاحتقار والازدراء قد ارتبط بهذه المعانى ، ورغبة تلقائية فى الابتعاد عن الاعمال اليدوية ، وهذه ظاهرة الاخلاقية تتوافق تماما مع العقلية العربية فى ذلك الزمن والعهود التى سبقتها · ومن جهة إخرى نصادف نظرة عامة شاملة تخلو من (الاصطلاحية) الفنية فيما يعود الى حياة الرعاة والمزارعين ·

ولقد اشرنا فى سابق بحثنا ، ونحن نحلل كلمة **بدر وأنواء** ، الى تفسير يمكن قبوله ، يقوم على الرغبة الواعية فى تغيير العقائد الجاهلية · ولقد ثبت عندنا او كاد يثبت ان الاسلام عند نشأته حث على « مواقف » وطرائق اخلاقية هى السبب فى غياب كلمات كثيرة من القرآن ، وفى شتى الميادين فهو لايذكر الخصومات القبلية **والثأر** ولكنه يعطى مكانها لكلمة **قصاص** (وعن هذا عبارة : ولكم فى القصاص حياة : سورة 2 آية 179) وللغرامة المالية · ولكن حتى كلمة قصاص وهى لـم تحمل فى آلايـات الاربعـة التى نجدهـا فيهـا ، اسمهـا القديم **قود** ، ولكنها اصطبغت بمعنى جديد ، وهو **القصاص** (ومعناه : الغرامة العادلة) ·

ولتسمع فى القرآن اصداء من الاصلاحات التى ادخلها محمد فى تحسين منزلـة المرأة ، والتى تشعـر بهـا فى كلمة **صداق** ، وفى **فريضة واجـور** وحتى فى كلمة **صدوقات** الموجودة مرة واحدة (سورة 4 ، آيـة 4) · ولكنك لاتجد ولو مرة واحدة كلمة **مهر** القديمة ــ والتى رغم غيابها من الكتاب العزيز قد كتبت لها حياة طويلة ــ والتى تجدهـا بكثرة فى كتب الفقه الاسلامى · وافسر هذا برغبة الرسول فى افهام العقول التى مازالت جاهلية ان **الصداق** ملك للمرأة يدفع اليها وليس شبها بالمهر الجاهلى الذى يعطى لوالدها او لوليها

ولقد صادق الاسلام عـلى الرق ، ولكنـه حـاول ان يخفف من مضاره وان يلطف فى منزلة العبد البشرية وعن هذا الـرأى يجب ان نفهم المصطلح

القرآني فلا مفر اذا من استعمال كلمتي **عبد** (للذكر) ، **وامة** (للانثى) ، بل لتجد ان الناس جميعا « عباد الله » • ولكن الكتاب الكريم لايذكر ولو مرة واحدة جذر **رقق** ، الذي يعبر عن حالة العبد ، خاصة حالته القانونية • ثم ان معنى العتق ـ ذلك العتق الذي حث الاسلام عليه ، كعمل بر يحلو عند الله ـ لايعبر عنه بالكلمة المصطلح عليها ، اعني كلمة **عتق** ، ولكن دائما بهذه العبارة : **تحرير رقبة** (سورة 4 ، آية 92 و 5 آية 89 و 58 آية 3) : وهكذا يظهر اليك في اقوى مظهر واجلى بيان ، تحرر العبد وارتقائه الى منزلة المولى ارتقاء بديهيا وهذه هي المنزلة العادية التي يتمتع بها **الحر** •

وغياب مفردات عديدة بل مجموعات كاملة من الجذور والكلمات من القرآن لايمكن ان نفسرها تفسيرا شرعيا الا بالانقلاب الاخلاقي الذي كان يحاول الوعظ القرآني ان يحدثه في نفوس السامعين ولهذا ، فانك لاتجد الجذور التي تعبر عن **المدح والرثاء والندب والهجاء** • وكذلك معنى **النشيد** وهذه جذور ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعان او بالحياة والسيرة العربية ، وقد حكم عليها الكتاب العزيز بالاعدام ، حكما ظاهرا او ضمنيا •

وهو قد عوض كلمة **مدح** بـ **سبح وحمد وشكر** ، التي وجهت قبل كل شيء الى الخالق

وتدخل ملاحظاتنا السلبية ايضا على معاني النبل والشرف • فلا تجد جذور **شرف** ولانجد فيما يعود للمعنى الاول ، ولاجذر **عرض** ، فيما يعود للثاني والتي ربما ذكرت السامعين بعواطف وقيم جاهلية مداهمة ـ هذه القيم التي كتبت لها الحياة طويلا رغم تعرض اللاسلام لها •

بل لا تجد كذلك اثرا لمعاني الشجاعة والمروءة والبسالة التي هي ايضا تضاف الى المعاني الاولى ، في تفسيرنا

فلا وجود في القرآن لاية كلمة من الكلمات الكلاسيكية التي تعبر عنها عادة : **حماسة وشجاعة وصرامة ومرؤة ونجادة** ، بينما تصادفك كلمات كـ **قسوة وبطش** ، وتسمع عن المعنى الاسلامي القح ، معنى **الصبر** ، مدحا واسعا (19) •وتفسر هذا بان الفضائل الحربية ـ في مظهر الشجاعة والبطولة ـ هذه الفضائل التي كانت محل فخر تليد عند العرب في الجاهلية لم تعد محببة للنفوس ، وترى بالعكس تفوز عليها بالفضل والسابقية معاني الخضوع لارادة الله ، والتوكل عليه ـ في الكر والفر وفي الهجوم والدفاع ـ وتعلم ان الفضل في الحرب اصبح يقوم عليها وحدها •

---

(19) وعلينا ان نلاحظ ، بالعكس ، ان القرآن يخلو من جذر ورع ، ذلك الجذر الذي كثيرا ما سنجده تحت قلم الكتاب فيما بعد •

وما دمنا في هذا الميدان، فلا يخلو من دلالـة ان تلاحظ ان القرآن الذى يخصص للحرب صفحات كاملة ـ لايذكر « الحرب » الاقليلا ولايوجد في القرآن من المصطلح الحربى الا الشىء القليل ٠ فلا تجد جذر **غـزو** (ذلك الجذر الذى بزغت منه كلمة Razzia الفرنسية) الا مرة واحدة (سورة 3 ، آية 156) : والقائمون بهذا الغزو من الكفار ٠

ومعنى الاسر يعبر عنه القرآن بجذر **اسر** ولاتجد ابدا جذر **سبى** ٠ ومن العجيب ان لاتجد ايضا جذورا عـادية تمامـا كـ **هجم** و **وثب ونهد** (للهجوم) **أونهب** (للنهب) وان تجد كلمة **رماح** فشاذة ومرة واحدة ، وعائدة الى القنص لا الى الحرب ٠ ولاتجد بالمرة ذكرا لكلمة **سيف** ٠

ومعنى « المحاربة » هذه معنى كثير الوجود ، ولكن القرآن يفضل التعبير عنه بفعل **قتـل** ، او هو يدخل عليه لونا اسلاميا بفضل فعل **جهد**

وعلى مؤرخى اللغـة العربية ان يقوموا بتجربـة معاكسة لتجربتنا هذه ومكملة لها : **ماهى عناصراللغة القرآنية التى لم تتبنها اللغة الكلاسيكية العربية؟**

وهذه المحاولة ، ربما قد يصفها بعضهم ، لاول وهلة ، بانها محاولة لامعنى لها او يرمونها بانهـا محاولة ترمى للنيل من عـزة الكتاب الكريم ٠ ولكن لا اوافقهم على هذا ، لان القرآن الذى اتخذه العرب مثلا وانموذجا كان يرجى ان يدمج وينسجم بصورة من الصور مع التراث الكلاسيكى العربى ٠

وفعلا تجد فى الادب الكلاسيكى العربى وبكثرة الآيات والاشارات القرآنية فهل معنى هذا ان لغـة الكتاب العزيـز قد ذابت برمتهـا فى هذا الادب ، او بالعكس اصطبغت بمظهر جديد ؟ اننا نسمح لانفسنا بالشك فى الافتراض الاخير : ان كثيرا من الكلمات القرآنية ، ان نحن قارناها بما جاء فى العربية الكلاسيكية ، لـزم علينا ان نضمها حسب راى النحاة واللغويين العـرب ، وحسب راينا تحت لواء « الغريب » ولكن لنترك الآن هذه المشكلـة جـانبا ، والسعادة تغمر قلبنا املا لو نجحنا بهذه الملاحظات السلبية فى اقناع العلماء بان اللغة العربية لم تزل حقلا خصبا لبحوث ممتعة ٠

ندوة القراء

التطبيع الضائع

بقلم محمد الصادق بن عبد اللطيف

ليت هذا الشباب يعي وجوده ويفسر ماضيه ويعبر عن خلجاته ويدرس دراسة عملية اوضاعه التي هو اليوم ينسى عنها الشيء الكثير وبالتالي الميدان الذي يريد ان يعمل فيه ويسير ... وليكن انا دوري قريبا من هذا ولكن حسب القاريء ان لايجد عندي سوى نبش الماضي والتعرف لخصائص الحاضر والدفاع عن ذاتية المستقبل لان هذا كله موكول للتاريخ الغنى بالاقاصيص والمجادلات ، واريد هنا ان نعرف جميعا ذاتنا ونتعرف في خطواتنا على صور عاشت معنا وكلنا نسينا اجزاءها وتلافاها الاضمحلال وادركها الوهن وكادت تندثر من الوجود ، هاته الصور او المشاهد هي تلك التي يقصها علينا ادبنا التونسي الذي ارتبط بالكفاح ارتباط التناغم والتجاوب فكان بذلك يسجل قصة الانسان مع الحياة والطبيعة ومثالا للتضحية والفداء ، قد شهد النضال والاستعباد سواء في تاريخه البعيد او القريب ولكننا مع الاسف لم نظفر بمقياس تجريبي يمكننا من الوقوف على مجدنا التليد واثرنا الخالد بل اكتفى الزمان بتسجيل ادب تونسي فارغ يحمل ترديد الاصوات الفردية ويتهاون بشعور الجماعات التي تعيش مع الكرامة في سبيل المثل العليا ، وعلى هذا يمكن على ضوء مشاعر الشباب اليوم ــ التفاؤل بمستقبل ادبنا ما دام الجذع نابضا بالحياة يعج بالاحساس الوقاد الذي يرتجي تحريكا خفيفا لينقدفع الجيل بحكمة الشيوخ يجرب الحياة في السراء والضراء باعظم طاقة مستمدة من معاني القوة والروعة والايمان والجمال في اطار الموضوعية الكامنة في كل نفس تؤمن بالخير وتسعى للتوفيق وتعمل على سعادة الآخرين ، والغريب انه كثرت اليوم في ديارنا المذاهب الكلامية او القلمية وانت بينهما لاتجد نقطة تحال من خلالها ان الادب التونسي استقل بذاته وخرج عن الاقليمية الضيقة الى آفاق بعيدة ــ حتى ندفع عن ذاتنا عار اولئك الشرقيين الذين لايتحدثون

عن ديارنا الا بالافلاس والركود ـ وتمكن من مسايرة تطورات الاداب الاخرى بالقياس الى التأثير الشعبى حتى ان الباحث لايرى الا انتاجا هنا وهناك، فمن القديم كانت جماعات تدافع بأقلامها السحرية عن شتى النشاط فى تونس وتحاول ان تحلل عناصر المجتمع القائم الى اسطورة حية تحس وتتألم فقام (الحداد) يدافع عن المرأة وتولى قيادة الركب حتى سقط فى ساحة الوغى شهيدا ولم يعرف لحد الآن السر الذى يحيط بحياته رغم انه تعرض فى كل المحاولات لشتى الاتهامات والبدع واخيرا كان عليه الرجوع وتجندل مهزوما وبات سره فى بطن الحياة ـ رغم ابحاث الاستاذ (كرو) عنه فانه لم تكتمل جوانب فنه حقها من الدراسة والبحث وهى محاولة اولى بكل اسف لم تعقبها بعدها اى التفاتة ـ ولكن ضرورى المزيد من الحظى لتحقيق هدف تصبو اليه الانفس الحية المتالمة من اوضاعها الحائرة فى وجودها فكانت محاولات (العريبى) الذى هاجر الوطن واستقر بعيدا فى افريقيا واوروبا ـ يضع ادبه الذى اتسم بطابع السحر والابداع والذى خلد بـه حلقة مجهولة فى ادبنا التونسى المعاصر جديرة بالدرس والعناء والجهد ، وبكل مرارة واسى لـم يكتب لهذا العملاق الحظ ليبرز لعالم الاحياء اليوم وتتسارع الاقلام لتظهر لنا نحن الشباب قيم ماضينا الادبى لندرك مدى ما وصلنا اليه امس من تطور فكرى ورقى نظرى اللهم الا اشارة (الاستاذ البشير العـريبى) عنه فى عجالته عنـه (بالفكر) او الحديث الاخير هاته الايام بالاذاعة من طرف زملائه ولكن لايكفى هذا ونحن نضع اليوم مجدا جديدا حالما بالعزة والكرامة والعمل ، ثم نرى (كرباكة) الذى حاول ان يقدم للطبقات انموذجا من الحياة الايجابية فقاومته الظروف وجعلته العوبة فى يد الاقدار وكـان نسيا منسيا تتقاذفه هنا وهناك اللهم الا رعاية مجلة (الثريا) اذ اقامت له ذكرى ادبية بالمسرح التونسى البلدى ايام كان التونسى والقلم العربى يشكوان قساوة المستعمرين الدخلاء فكانت منها بادرة حسنة شجعت الاذاعة انذاك على الاشتراك فى هذا المهرجان وهكذا لم نظفر بعدها حتى الآن بتلك النتف من الذكريات التى لابد ان تكون لها مرام تعود بنا الى ذلك المجد وتلك العظمة وهذا القلم الفصيح حتى اذا كان الشابى حاولت ان تصرعه فقام بها حتى وضع منهجا مثاليا للحياة على العموم واذا بـه فى اول الطريق يتحطم وتنهال عليه المعاول والفؤوس لتدك صرحه ولكنه قاوم الرجعية والطغاة ونادى فى بنى قومه حتى استفاقوا ولكنه اخيرا تـوارى نجمه حتى اذا مرت عليه سنوات قامت فى بعض نشئنا الحديث ذكرى هذا العظيم فكتب عنها والف لها وعرف بها غربا وشرقا ولكن به فقط تنطوى صفحة خالدة من

كفاح الرعيل الاول من ادباء تونس الامس التي ما زالت محتفظة بادباء صامتين امثال الحليوي والسنوسي وخريف والكبادي والمرزوقي ومازيغ وابن شعبان والمدني والمهيدي وسواهم كثير من الذين حملوها كاملة واعلنوها حربا على الخوف والصمت والرياء ٠

٠٠٠اما اليوم وقد سرنا في نهضة مغايرة للماضي بما فيه من هزة وانطلاق يلزمنا ان نتخير غذاءنا الفكري لتكوين ادبائنا وبالتالي شعرائنا الشبان الذين اخذوا يحولون نظرتهم نحو الشعب ، اجل الشعب وحده مصدر الالهام ومبعث المشاعر موقظ الاحاسيس وهو الذي يسيطر على جملة الحركات لسد الفراغ القاتل الذي يملأ نفوس شبابنا المتعلم والذي يحاول التطلع والمزيد ، وكأني بهاته المشاعر ـ قديمها وحديثها ، وطنية كانت ام حياتية ـ عادت معنا واذا بنا نرى شبابنا شعراء ممن نفتخر بهم ونعدهم من خيرة ادبائنا الممتازين وان هم لم ينشروا على الناس كل انتاجهم بعد لكن ملامح العبقرية وخدمة الشعب ظاهرة قلما تخلو منها حياة الاديب المخلص لواقعه ، وهذا الرهط من شعرائنا يحاول بلوغ القمة لانه استطاع ان يفلت بالمجتمع ويدفعه بسحره واخلاصه ودفاعه عنه الى التحرك والسير ليضمن لأدبه الرواج ولبقائه الخلود ولمستقبله الكمال ولان حالتنا الادبية في تونس امس او اليوم على ما اعتقد مازالت كلها في طور تجريبي لان الادباء على اختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم كانوا كما عبر الدكتور احمد امين حين قال : « هم يختلفون ـ كالمجتمع ـ في خلجات نفوسهم وفي صبغتهم العاطفية فتختلف لذلك اساليبهم فاديب واقعي يعبر عن الحياة الفعلية واديب مثالي يعبر عن ادبه تعبيرا مثاليا ويجب عند دراستنا للادب ان نفرق بين ما يسميه دكارليل ، الاصوات المبتكرة وبين ما هو مجرد اصداء ٠٠٠»

اي نعم يجب ان نضع اسسنا الادبية من الآن لنعرف هل نحن وصلنا في محاولاتنا الماضية لان نستخلص العبرة من الماضي ونبني عليها مستقبلنا الثقافي على العموم لنضمن الخلود لاجيالنا الصاعدة ام اننا سرنا ورجعنا بخفي حنين وعلى كل فالواقع الصراح اننا نملك من سلاح البيان مايؤهل شبابنا لقيادة السفينة ويكفي اننا نضم بين اجنحتنا اليوم في العهد الجمهوري السعيد شعراء كافحوا في سبيل الله والشعب حتى النهاية وانهم في هذا كونوا مدرسة

شعرية ومذهبا اجتماعيا ورأيا عاما حول قضايا الحياة وبذلك فهم يؤمنون برسالة الشاعر التي يجب ان تعمل في محرابها بطريقة الالتزام ولاتخدم غير الوطنية والشعور العام فكانت بذلك معظم اشعارهم مسعرا وطنيا وتصويرا صادقا لمشاكل الحياة ـ واظن ان اسماءهم تحدث لنا بعضا من التساؤل لو اننا جردناهم من صفتهم الشعرية لكن ضرورى ان نذكر : المطوى وعطاءالله وابن حميدة والوزير والعريبى والصدام وصمود والشعبونى والبحرى والسعيدى وغيرهم من شعراء الطليعة الذين يحملون مجموعات شعرية ضخمة من نوع واحد ـ على الغالب ـ هو الذى ذكرته فى هذا العرض واعنى به المجتمع والذات الانسانية ومصير الحياة وهى كلها جديرة بالنظر والاعتبار ، وعسى ان تتاح الظروف لدارسى الاداب بتونس التعرف لخصائص مذاهبهم الشعرية ومفاهيم الحياة وتجارب البشرية فيها وهم المتشوقون للبحث والاستقصاء حتى يكشفوا لنا عن قيم جديدة للفكر التونسى الحديث لنسير نحن على خطاهم فى تركيز مفاهيمنا الثقافية على العموم وندفع عنا عبء الدرس الطويل الممل لنصل الى ادب تونسى مجرد من التبعية او الحصر وانما فى اطار اوسع يعنى بتحليل مشاكل المجتمع وخلق تفكير جديد يرتكز على التفريق بين الحياة الفعلية والتعبير المثالى وذلك هو منطق البقاء ودستور الخلود وحكاية العباقرة الصاعدين وعلى هذا فشبابنا له كامل الثقة فى شعرائنا المغمورين منهم ومن تأتى له المغامرة والظهور ليكتبوا لنا ويبعثوا من ارواحهم نفثات تكون خالدة كما كانت فى ايامها مع الشعب ولصالح الجميع ولنا ان نحاسب انفسنا من اول الطريق بها ٠

اصـــــلاح

فى قصيد المعبد المتهدم ٠ بالعدد 3 يقرأ البيت التالى هكذا :

لاتكـونى مـن الاناجيـل حـرفـا

بل بيـانا تسمو بـه الافهـام

مع الاعتــذار ـ

« رايي في مجلة الفكر »

ألح على قلمي هذه المرة وبالغ في الحاحه لاكتب بعض الخواطر حول مجلة « الفكر » ولم اكتب الا بعد ما رغبت نفسي في ذلك ووجدت منها نصيرا ومشجعا •

فكتبت مسودة في نقد « الفكر » بما في اتجاهها وموضوعاتها من جيد وغير جيد سواء في اسلوبها او في فكرتها

الا أن دعوة « كلمة الفكر » القراء الى ابداء ملحوظاتهم حول منهاجها جعلني اعدل عن نقد العدد والابقاء عليه ، والالتفات الى المنهاج • ولكني سوف اذكر نموذجا لنقد الموضوعات اولا :•••

فلو تأملنا وقرأنا ما كتب عن الشهيد حشاد • لوجدنا المقال الاول اتجه اتجاها تحليليا في الظاهر • والواقع انه خطابي ولم يبدأ الموضوع الا في الثلث الاخير : « فلكفاح حشاد وجهان سلبي وايجابي » ولو قصد الاستاذ الى الدرس المتعمق لكان افضل للادب وللناس من قضاء جزء منه في الارشاد والتنبيه •

وميزة كفاح فرحات : هي ظاهرة سادت الحركات التحريرية المقاومة للاستعمار ، وانتصرت عليه • وكان فرحات واقعيا ، شعبيا ينظر الى البعيد ، ويعد العدة ، وهو في كل هذا جزء من عمل جماعي قاده رجال الديوان السياسي فهو عبقري يستلهم فلسفته ـ الى حد بعيد ـ من الحركة القومية • ونجح نجاحا في بعث الثقة في المضطهدين وتبصيرهم بحقوقهم •

والمقال الثاني : عبارة عن حكاية وتاريخ ، لم يقصد حاجة الى التحليل ، ولم يستنتج جديدا الشيء الذي نحن في اشد الحاجة اليه في المقال اطناب لا داعي له • الكاتب متأثر بكتاب عصر المماليك سجع قليل يبدو عليه الثقل والتكلف • واحسن ما فيه انه ادب تونسي ، يمثل ثقافة معينة ، في حاجة الى الصقل والانتشار خطابي لاشك فيه

ذكرت الخطابة وكررتها المرات ووصفت بها من وصفت • لان هذه الظاهرة ـ اللعينة ـ تسيطر على جل محاضرينا وكتابنا في هذا الطور • وكتبت عنها مقالا نشر بجريدة الصباح بتاريخ 27 ـ 11 ـ 59 رادا على ماجاء في محاضرة للاستاذ عبد السلام وقلت ايضا في : عيد الانسان

باب فى الشعر جديد ، صيغ فى قالب قديم ، عالج الشاعر الموضوع بروح هى فى اشد الحاجة الى الغذاء الادبى العام والخروج من الروح المحلى . ان الرجل الذى اغتصب منه الحق لن يدركه بالابتهالات والتضرعات :

ومضى البريء وقلبه ينزو دما
والطرف يرنو شاكيا يسترحم
ويمد من الم يديه الى السماء
والله بر بالضعاف وارحم
ويقول ذياك الضعيف بحرقة
يارب ـ مالى غير عونك يرحم
انى سكبت مدامعى ، وبذلت من
الم دمائى ، وانتهى منى الدم

هذه فلسفة فقد فيها ـ الانسان ـ شخصيته وعدم الايمان بذاته ومقدراته قارن هذه النظرة بما يشدو به شعراء آخرون ومنهم الشابى :

سأعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء

او مايقوله ايضا :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر

ونحن المؤمنين بالله نؤمن بأنفسنا وبفعاليتنا .

ورايى فى اتجاه « الفكر » وحصيلته طيلة هذه السنين انها بقيت الى مدة لا تعبر عن الروح التونسى اصدق تعبير . كنا نقرأ الفكر ونقول : الى اين سينتهى القوم . ازيد توضيحا واقول : ان الفكر متأثرة فى اتجاهها ومقالاتها الاولى ـ بالادب الاجنبى ـ الفرنسى ـ اكثر مما هو منفعل بالحياة التونسية . كنا نقرأ ونقول : ماذا بعد هذه الماورائية ، وليقل غيرنا « الواقعية »

وهذا الراى او الحكم ان شئت لايخفى باطلاق . فان تلك الاعداد الاولى حوت لوحات ادبية تونسية صادقة ، من قصص ومقامات واشعار .

وتقادمت الايام ، وتمرست هيئة التحرير بالحياة التونسية اكثر فاكثر وبدات الروح التونسية تبرز شيئا فشيئا . وهذه ظاهرة مشكورة ترجع الى تفهم وواقعية المشرفين على المجلة

والابحاث التى نعتها بالماورائية ـ عندنا ـ هى فى فرنسا قضية الساعة ومحل النظر • ونحن فى حاجة الى معالجة قضايانا ، وان بدت ساذجة فهى على كل حالجزئيات ، يتولد عنها كليات وواقع نعيشه

الفكر فيخطواتها الاولى لاتريد الظهور الا فى صورة مثالية مكتملة وهذا لم يضمن لها الانتشار الا قليلا ، وبهذا بترت رسالتها

وانا اقابل هذه المثالية بالشعبية فى مفهومها العام وان شئت فقل « الجماعية » نحن فى طور النشوء ، العلمى والصناعى والفنى والادبى فما ابعدنا عن قضايا الناس

نحن نؤمن اولا وقبل كل شىء برسالة الاديب وبمسؤولية الاديب فهل فهم الناس ذلك ، ماذا فعل الشعراء ، والقصاصون والمترسلون الشعراء الا اقلهم ـ مازالوا فى غفلة من امرهم • القصيد قديم فى اغراضه وفى الفاظه ونحيف فى معانيه ، والمرسل او الحر كما يدعونه لم يفهم على حقيقته ، او هو لم يوجد الى الآن فيما زعم الدكتور طه حسين والقصة عندنا ـ ان كانت ـ مازالت تفهم بمفهومها اليونانى القديم رواية او حكاية• والمترسلون ، الناثرون افلاسهم اكثر ، وجهلهم افدح ـ فأدباؤنا ـ تجوزا ـ أتوا متأخرين عن وقتهم وليسمح لى القارىء بهذا التعبير العامى

الفكر : يربأ بها عن ان تسير فى فلك خارجى ، ونحن لم نكد نفهم الادب بمفهومه الحقيقى ـ الفكر الفرنسى راق ؛ واعلامه كثيرون •

الاديب واع لرسالته فهل انتجنا نحوا من « الذباب » ، او « الطاعون » وان كانت بضاعتنا مزجاة فأحرى بنا وبالواعين منا ان يخدموا تربتهم ويبدأوا العمل من اوله بطرح الرواسب وقتل الحسرات ـ اذا اردنا ان نساير اتجاه مجلة « اسبرى » مثلا فقد انصرفنا عن اداء رسالتنا • ولايعنى هذا ان نغلق الباب فى وجه الادب الحق بل لابدلنا من فتح هذا الباب

الفكر فى حاجة الى الحديث والاهتمام بالادب التونسى الذى لم يمس بعد ، دراسة ونقدا ، والى اعمال الادباء ومدى فهمهم لرسالتهم امثال قابادو والورغى والغراب والنخلى ، وهم كثيرون

الفكر مطالبة بتركيز الذاتية التونسية فى عاداتها واصطلاحاتها السليمة وبعد فالفكر ـ يجب ان تكون ـ صفحة شاملة للحياة بتونس

صالح القابسى

كلية اللغة العربية والآداب تونس

أصداء الفكر

• رسالة صفاقس : نشاط الاتحاد الثقافي بصفاقس

يضطلع الاتحاد الثقافي بصفاقس برسالة ادبية كبرى تعنى بتوجيه الشباب نحو العمل المثمر ، والانتاج المفيد ، وتكوينه تكوينا صحيحا يتماشى مع واقعنا التونسي ، ويتفاعل مع الاحداث الادبية التي يقرها تطور الفكر ، وتدعو اليها حاجة الجمهورية والاتحاد الثقافي الى جانب المساعدات المادية الكبرى التي يقوم ببذلها دواما للشباب المدرسي ، والى جانب مكتبته الكبرى التي تضم آلاف المجلدات بين كتب عربية وفرنسية يجد فيها الشباب الظامىء خير مورد للارتواء ، والى جانب ما يفتحه من مسابقات في الفنون الجميلة تتجلى فيها مواهب الشباب ، ونبوغه ، ومهارته ، والى جانب الميدان الرياضي الذي يسمح لمشتركي الاتحاد بالمساهمة في مختلف الألعاب الرياضية ليتكونوا تكوينا بدنيا ، ويتربوا تربية رياضية عليا تساعدهم على تلقي دروسهم اليومية بكامل الصحة والسلامة ، قلت الى جانب هذه الاعمال كلها يقدم منبر الاتحاد سلسلة من المحاضرات العلمية والادبية في اللغتين العربية والفرنسية يساهم فيها اساتذة المعاهد الثانوية بتقديم دراسات توجيهية ويشارك فيها الطلبة بمحاضرات تعبر عن آرائهم فيما يطالعون ، ويتعودون بذلك على التفكير الصحيح ، والنقاش الادبي المفيد .

وقد قدمت لجنة المحاضرات لحد هذا التاريخ 5 محاضرات :

قدم الاولى منها الاستاذ محمد الشعبوني حول (الزهاوي شاعر العراق) مساء الجمعة في آخر نوفمبر 1959 ، حلل فيها جوانب رسالة الزهاوي وتناول اهم الاغراض الشعرية التي شملها شعره موضحا قيمة كل غرض منها ، مستعرضا بالخصوص لآراء كبار الكتاب والنقاد ، واقوالهم في تراث هذا الشاعر العربي الفذ .

وكانت الثانية من نصيب الاستاذ محمد محفوظ الذي تحدث مساء السبت في 5 – 12 – 1959 عن كتاب الوزير خير الدين (اقوم المسالك) وتناول عرض هذا الكتاب عرضا شاملا لمحتواه ، واسلوبه والاسباب التي دعت صاحبه لتاليفه في تلك الظروف .

اما المحاضرة الثالثة وهي (الشعب في شعر الشابي) فقد قدمها مساء السبت 12 – 12 – 1959 الاستاذ الشاعر (مصطفى البحري) وكان للجزء الاول من هذه الدراسة اثره الفعال في توجيه الشباب نحو البحث ، والتنقيب ، وقد صوب الاستاذ البحري رأي من يقول بان الشابي كان هداما ولم تكن له رسالة بناءة أمثال الاستاذ فروخ .

وتفضل الاستاذ بيو (استاذ بليسى صفاقس) بالمساهمة فى منبر الجمعية فحدثنا عن (الواقعية والخيال فى مسرحيات الفريد دى ميساى) مساء السبت 19 ــ 12 ــ 1959 ، فكانت محاضرة توجيهية شيقة استفاد منها الشباب كثيرا واطلع على حقائق أخرى اضافها لمعلوماته

هذا وقد حدثنا الاستاذ مصطفى كمون حول ابى الطيب المتنبى مساء السبت فى 9 ــ 1 ــ 60 وكانت امسية ادبية طريفة تجول فيها الاستاذ المحاضر مع المتنبى وبين قيمة شخصيته وقوة أدبه .

ولايزال فى برنامج المحاضرات عدة بحوث منها حديث حول المعتمد بن عباد وحديث حول الصحافة ، وحديث حول التشاؤم العباسى وسنوافيكم بتفصيل ذلك فى وقته .

محمد الشعبونى

• النشاط الثقافى فى تونس

تابعت جمعية قدماء الصادقية سلسلة محاضراتها فقد القى الاستاذ المنجى الشملى فى 8 جانفى محاضرة عنوانها « فى الشعر الاندلسى » وقد نالت اعجاب الحاضرين وختمت بمناقشات طويلة قيمة وفى 15 جانفى طرق الاستاذ السويسى الموضوع الآتى « اللغة العربية والالفاظ الاصطلاحية » وفى 22 جانفى القى الاستاذ البشير العريبى محاضرة عنوانها « الدين بين اثنين » وقد اهتم الشباب المستمع لهذه المحاضرة اهتماما كبيرا بها وابدى البعض منهم ملاحظاته فى الموضوع .

وقد واصلت ايضا الجمعيات الثقافية الاخرى نشاطها من ذلك المحاضرة التى القاها الاستاذ عزوز الرباعى عن المرأة التونسية والاستاذ الطرابلسى عن نفسية المراهق .

• وفاة ألبير كامو

قضى الكاتب المسرحى الشهير البار كامو صاحب جائزة ــ نوبل ــ للادب نحبه فى حادث سيارة ولم يتجاوز عمره 46 سنة .

وقد اثار نعى ــ كامو ــ دهشة عظيمة فى الاوساط الادبية بفرنسا وفى الخارج اذ كان يعتبر هذا الفقيد من ابرز والمع ممثلى الادب الفرنسى المعاصر .

ولد البير كامو يوم 13 نوفمبر 1913 فى مندوفى بالجزائر وكان ابوه عاملا فلاحيا . وبعد ان زاول تعلمه بالجزائر العاصمة حيث تحصل على جائزة فى الاداب وديبلوم فى الدراسات العليا للفلسفة زاول شتى المهن ولكن هوايته بالمسرح ظهرت باكرا وكون فرقة مسرحية للهواة تدعى ــ العصبة ــ

ثم سافر الى الخارج لا سيما فى اسبانيا واليونان والولايات المتحدة وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا وامريكا اللاتينية .

وضرب سهما فى الصحافة السياسية غداة انتهاء الحرب العالمية بعمله كرئيس تحرير لجريدة ــ كومبا ــ

وقد احرز سنة 1957 على جائزة ــ نوبل ــ للاداب اما ابرز مؤلفاته فهى :
ــ الظهر والقلب ــ الزفاف ــ وقفة وهران الاجنبى ــ اسطورة سيزيف ــ رسائل صديق المانى ــ الطاعون ــ الانسان الثائر ــ

واما مسرحياته فاهمها : العادلون ــ الالتباس ــ حالة الحصار ــ السقوط
وقد كان لموته صدى كبير فى الاوساط الادبية فقد قال مورياك : « هذه خسارة من اعظم الخسائر التى تصيب الاداب الفرنسية ٠٠ بل فرنسا باسرها وفعلا فقد انبعث وعى جيل كامل خلال مؤلفات كامو لقد منحت جائزة ــ نوبل ــ لاستاذ شاب من النخبة الاوروبية الشابة ، ولاجل هذا فان الشباب باسره هو الذى يبكى اليوم الفقيد ٠ »

اما الكاتب الايطالى سلفاتور كوازمودو صاحب جائزة ــ نوبل ــ لسنة 1959 فقد صرح عندما بلغه خبر وفاة الكاتب : لقد خسرت فيه فرنسا كاتبا من المع كتابها واذكاهم من الذين طلقوا الروح المريض المتهافت العزيز على الجيل القديم من الادباء الاوروبيين ٠ لقد كانت جائزة نوبل التى منحت لكامو سنة 1957 تنم عن ثقافة فرنسية جديدة مفعمة بالقوى الحية

اما الكاتب آرثر كوشلير صاحب كتاب ــ الصفر واللانهاية ــ والصديق الحميم فقد صرح : ــ كان كامو رمزا للانسان المقطع المؤمن والمرتاب المتواضع وصاحب الانفة ، رمزا للفنان المكافح ذى الوعى المفتوح كالجرح ٠

- **مجلة الفكر والثقافة الوطنية**

اوردت جريدة « البتى ماتان » فى صفحتها الادبية (60 ــ 1 ــ 2) تحت هذا العنوان مقالا تحدثت فيه عن مجلة الفكر وعن دورها فى خدمة الثقافة بهذه الربوع قائلة :

« ورد فى مجلة الفكر منذ خمس سنوات فى عددها الاول « ان المتأمل فى روحانيات مجتمعنا وفى شؤونه المذهبية والعقائدية يلاحظ فراغا مريعا »

وبديهى ان الثقافة فى تلك الفترة لم يتيسر لها ان تزدهر ازدهارا كاملا فمن كان المسؤول اذن عن ذاك الفراغ ؟ هل هو الجمهور ام المثقفون ؟ والجواب عن هذا السؤال دقيق جدا يتطلب دراسة وافية لنفسية الفريقين اذ ليس من اللائق ان نلقى المسؤولية على فريق دون آخر ٠

فى الحقيقة لم يكن الجمهور ظاهر اللهفة بما يكتب فقلة اهتمامه من جهة ببعض ما نشر وبرودته وقلة تشجيعه من جهة اخرى اضعفت جهود الكاتب الى حد العقم فكان الجمود والاجماد ٠

فهل ملء ذاك الفراغ ؛ نحن نأمل ذلك من كل قلوبنا لكن الذى نعتقده هو ان الاستاذ محمد مزالى لم يـؤسس مجلة الفكر فحسب بل بـذل جهودا جبارة فى سبيل مد الثقافة الوطنية بدم جديد فوار وفى سبيل انقاذ ثقافـة ما فتئت مقصورة على عصبة قليلة معزولة عن الشعب .

فما نادت به مجلـة الفكر هو فى الحقيقة محاولـة للتجديد عظيمة اذ ان الثقافة التونسية شديدة التأثر بكل ما هو شرقى الامر الذى يجعلها مهددة بفقدان شخصيتها وفقدان طابعهـا المتأثر حتما بالـواقع التونسى وبالطبع التونسى الخالص وهذا ما جعل مجلات عربية ادبية عديدة تعيش ردحـا من الزمن ثم تزول وقد حرمت من كل صلة بالشعب وبواقعه ، غير ان « الفكر » بفضل نشاط تواصل خمس سنوات ساهمت مساهمة فعالة فى بعث اليقظة فى العقول وفى تفتيق الاذهان للخلق الادبى القيم وفى انبعاث حياة أدبية ثرية وذلك بربط الصلة بالتراث الشعبى الخصب بكل مافيه من سذاجة وبساطة وبجعل الثقافة مفتوحة للجميع بقطع النظر عن درجتهم الفكرية .

يقول الاستاذ مزالى بـوصفه مديرا لمجلة الفكر او بوصفه رئيسا لجمعية قدماء الصادقية : « فنحن احوج مانكون اذن الى مذهب اصيل منتزع من واقعنا ومستلهم من ماضينا وحاضرنا يلقى اضواء ساطعة على مختلف جوانب حياتنا ويكسب اعمالنا معنى ساميا » .

وقد أجادت مجلة الفكر خاصة فى القصة والاقصوصة الشعبيتين فساعدت فى خلق طور هام فى تاريخ الادب التونسى يشبه طور « زولا » .

اذ بهذا الصنف من الادب يستفيق القارىء من غفوته ويصير معتزا بماضيه وبشؤون حياتـه اليومية ومكـانته فى المجتمع ومن تصفح جل اعداد مجلـة الفكر شعر فى يسر ان هذا الاتجاه دخل ببراعة فائقة فى حيز الفعل ثـم ان الاستاذ مزالى جعل من مجلة « الفكر » منبرا حرا لجميع المثقفين فاتاح الفرصة لجميع الاتجاهات الفكرية ان تظهر وان تلمـع فى سماء الادب حرصا منه على خلق تربة صالحة للخلق والانتاج الادبيين .

وقـد كتب الاستاذ مـزالى بهذا الصدد قائلا : « انـه من الغبن فى ذات البشرية ومن الاجرام فى ذات الفكر كبت التفكير الحـر او حصر الحقيقة فى فرقة دون فرقة او مذهب دون مذهب او عصر دون عصر ، ومعناه ان الحقيقة ـ ان كانت ـ ثمرة بحث مستمر وطلب دائم هى « بناء » يساهم فيه البشر جميعا انى عاشوا وحيثما وجدوا » .

فلا يسعنا نحن اذن الا ان نعبر عن ابتهاجنـا لنجاح عمل هو بلا شك حدث هام فى تاريخ الادب التونسى وهو بالاضافة الى ذلك يتواصل بحزم دائب وذكـاء وقاد .»

• بين المعرض والمتحف

تعرف الامم الناهضة للمعارض قيمتها ، كما تقدر للمتاحف اهميتها ، فتصرف لهما جانبا من عنايتها لتريهما فى مظهر لائق بكرامتها ، وتمنحهما مقداراً من رعايتها وماليتها ليبلغا المستوى الذى يجسم حاضرها ويصور غابرها فى صورة مشرقة نضرة ٠

على اديمهما تنطبع حقيقتها ، وفى ميدانيهما ترى يومها وامسها ٠ من خلال قسمات هى صغيرة مهما اتسعت وضئيلة وان امتدت ـ مما لا يسعك ان تراه فى سويعات معدودة لو قدر لك أن تشهدها فى الشوارع والاسواق ، علاوة على معاكسة تصطدم بها مع الواقع ان طلبت منه غير الواقع ٠

وما فى الواقع وحده يستنفد التعرف عليه جانبا كبيرا من الزمن ، ويستهلك قسطا ضخما من النشاط والصبر ويتطلب اعوانا خبيرين ، وادلآء ماهرين ، وهم ان نفعوا فى الوقوف على المتاجر والمصانع ، والملاجىء والمدارس والمدن والقرى والحدائق والمنشات وسائر مختلف نواحى النشاط فانهم عجزة عن ان يرجعوا بالحياة للتاريخ ، وبالتاريخ للحياة ، ولن تجد ذلك الا فيما تقيمه الدولة من معارض للغابرين فى الآماد الغابرة داخل المتاحف ، وهناك فقط تنعكس صورة الماضى انعكاس قرص الشمس على قطرة الماء ، وانسانى العين وقد تضاءلت رقعته على قدرهما وحجمهما فى غير تخل عن الملامح والميزات ، ولا تغيير من الكيان فى العيان ، فتراها فى افق واسع الامتداد من الخيال يوحى بالدروس والبلى وينطق بالاندثار والتحول وقد افتقدت اجزاؤه ومودعات الحرارة والحياة ، وتلفعت بالفناء الصامت ، والجمود البارد ٠

فالمتاحف معارض ولكنها معارض لما تولى ظله ، وزال يومه ، والمعارض متاحف ولكنها متاحف المستجد الطريف الذى يساير عهده ، ويلاحق غده ثم ينتهى بنفسه او بغيره الى ما انتهى اليه سلفه وينتهى عنده خلفه بالتعاقب ٠

المتاحف معارض ، والمعاض متاحف لافرق بينهما الامن جهة الحدود الزمانية التى تحدث عنها هذه وتلك ، والنماذج الشاخصة فيها ، بحقائقها الماثلة الوجود ، او باطيافها التى ما فى باطنها اكثر مما فى ظاهرها من الجمود ، وبالاخبار التى تنسبها الاولى لغير من تنسبها اليه الثانية ، والاجيال المختلفة التى صنعت كليهما ، ودلت عليها بما لديهما ٠

فاذا هى من صانع موجود فى المعارض ، واذا هى من معدوم فى المتاحف ٠

ولا يرى من قدر له ان يزورهما اكثر من صور-موحية بالتاريخ ، بالتاريخ الحي المعاصر في المعرض ، والراسب الغابر في المتحف ، وهو فرق لايقوى على سلب ايهما دلالته على معالم عصره ، واحداث دهره ٠

وما فيهما من المعاني يفسر مرتبة الشعب في سلم القيم الاممي ، كما ان التهاون بهما معناه تهاون الامة بنفسها وتجردها من ذاتيتها ، وتخليها عن سبيل الحياة المركزة المشاوقة في ميادين الحضارة والتقدم ٠

والسير الهامشي يـورث ـ حتما ـ حياة الاضطراب والفـوضى والتعـاسة والخلل ، والانصراف عن وسائل العصر في العرض والاشهار ويحرم البـلاد من التعاون المجدي والانسجام المتسع والاستفادة اللائقة من امكانيات الجهود ، ويعرض المكاسب والثروات للغبن والبوار ٠

فلا هي نسامق غيرها بثروتها ، ولا تنافس الدول بمنتوجاتها ، ولا هي تحاول ان تقوى من معنوياتها بما ينفي شعور النقص عنها ، ويجتث مركب الغـرور منها ٠

وفي التخلي عن احدهما ما يومىء بالتحلل من احد ركني كيانها ، ويشير الى عقم اعمالها ، وتعثر اقدامها ، لان الشعوب تتمايز عن بعضهـا بالـوان مواضيها وحواضرها ، وبهما تثبت مدعاها في طريق مجدها وتليده ، وقويم نهجها وسديده ، وبحسبها تميز حقائق الاعمال من دلائل الالفـاظ ، ومـدى تجاوب حركة اليد من حركة اللسان ، واثر العبارة في قـوة الارادة ، وبهما تجيد الامـة الحضارية الوسيلة الناجعة في الترجمة لذاتيتهـا وهي في مامن من التكذيب ، ومنهما تستمد الخطة السديدة لتناقش نفسها الحساب للتعرف على عوامل التوقي والنضج وأسباب الحيطة والربح وبذلك تسلم من مغبـة ما ركب في الشعوب من تزاحم وتنافس ، وتنازع على البقاء بحب البقاء ٠

أجل ، ان الامة الحضارية تعرف كيف توزع نظراتها اليهما لتدع في كليهما حظا من رعايتها على اساس من الانصاف والعدل ، وجانبا من اهتمامها عـلى نهج من الاعتبار والرعاية دون ان تميل مع احدهما كل الميل او بعضه لانها تفهم حق الفهم اثرهما الفعال في مجاري حياتهـا التي تقوم عـلى ركن من الحاضر وآخر من الماضي ، وتعرف حق المعرفة ما بينهما من التكافؤ في المفعول والتعادل في الاثـــر ٠

محمد الحبيب عبـاس

♦ اكتشافات اثرية جديدة بليبيا

جاء في جريدة المساء الصادرة بطرابلس يوم الجمعة 1 يناير 1960 مايلي :

من عدة سنوات وعالم الاثار الايطالي الدكتور فابريتسي موري يرتاد الصحراء الليبية بحثا عن اثار قديمة قيل انها منقوشة في بعض الكهوف الموجودة في الصحراء .. وفي واحة غات في الجنوب الغربي للحدود الليبية كان الاستاذ في شهر ابريل الماضي يبحث عن بعض هذه الكهوف وبينما كان يحاول معرفة النقوش والرسوم ازاح بعض الرمال التي كانت داخل الكهف واذا به عثر على جسم ظن في بادىء الامر بانها بعض الاثار تابعة ولكنه تبينها بعد ذلك فاذا هي موميا لطفل صغير .. وقد طلب الدكتور موري من مصلحة الآثار نقل هذه الموميا الى ايطاليا لاجل دراستها ومعرفة تاريخها .. وقد تأكد بعد ما اجريت عليها التجارب بانها تعود الى اكثر من 5400 سنة علما بان تاريخ الكف الذي وجدت فيه حسب ما تدل النقوش ، وبعض الاثار التي وجدت فيه يعود الى 5700 سنة وربما كان لاكثر من ذلك ..

وقد اكد الدكتور موري في خطابه الذي ارسله للسيد الحصائري مدير الاثار بان الموميا نالت اهتماما كبيرا من علماء الاثار وعلماء التاريخ القديم ، وقد عقد الدكتور موري مؤتمرا صحافيا لهذا الغرض ... ويقول بعض علماء الاثار بان هذه الموميا سوف تغير النظرية التاريخية التي تسود العالم في الوقت الحاضر وهي ان الحضارة المصرية هي اقدم حضارة في العالم او على الاقل في حوض البحر الابيض المتوسط وسوف يلفت هذا الاكتشاف العظيم انظار علماء الاثار وربما قامت حفريات في السنوات القادمة التي قد تكشف عن حضارة ليبية قديمة سبقت حضارات العالم ، ولاشك ان الصحراء الليبية حافلة بتاريخ مجيد عظيم .

♦ العثور على آثار جديدة

عثر على آثار جديدة في مدينة لبدة الاثرية يعود عهدها الى 4000 سنة ، ولاول مرة يعثر على سبعة تماثيل كاملة لم يصبها الزمن بخدش ولا تكسير. كما انه لاول مرة يعثر على تمثال من الرخام الاسود في تاريخ الحفريات في ولاية طرابلس وهذا غريب من نوعه .

كما أدت الحفريات في مدينة صبراته الاثرية الى العثور على منازل كاملة وسليمة بسلالمها الحجرية ومداخل حجراتها يعطي صورة كاملة وصادقة للمساكن التي كانت تستعمل في ذلك الحين كما وجدبها بعض الاواني الخزفية وفي البعض منها اثار القديد والعظام .

ويقول الاستاذ احمد الحصائري مدير مصلحة الاثار ربما كان لعادة حفظ القديد الموجودة حاليا اثر قديم في التاريخ البزنطي .

• الاب والسياسة

من نتائج الخلافات التى تمزق اليوم شمل العرب والتى يعرف حضرات القراء اسبابها والمسؤولين عنها ظهور شعر سياسى من نوع خاص من نماذجه هذه القصيدة للشاعر العراقى غازى سعيد حيث يهجو صاحبها حزب البعث الموالى – قبل محنته الحالية طبعا – للفرعونيين . وقد نشرت بمجلة « الثقافة الاسلامية » لصاحبها الشيخ عبد الجبار الاعظمى (العدد 8)

لو يدرك البعثى

وعجبت كل العجب من فئة ... جمعت حباب الافك معتنقا
لاذت بفرعون به اعتصمت ... عملت يداه بغير مانطقا
ان قام قاموا اثر قومته ... وكذاك ان غنى وان نهقا
وأحاط دار الحكم شرذمة ... كالت علينا الغيظ والحنقا
فاذا نطقت بغير وحدتهم ... قالوا شعوبيا لقد مرقا !
انا بنينا مجدنا بدم ... وله اعتصرنا الدمع والعرقا
ودروبنا الخضراء قد رسمت ... يدنا على آفاقها شفقا .
سنسير فيها صوتنا طلق ... فغدا ننال النصر والسبقا
ونموت احرار وخيرهم ... قد كان جاسوسا ومرتزقا

❀❀❀

ايه سعيد دمعنا كبد ... قد حل أعيننا ليحترقا
بنواك درب المجد موحشة ... وأبيت الا النصر مفترقا
قد رحت عنا طاهرا شهما ... وبقيت فينا خالدا ألقا
يا زهرة من غصننا قطفت ... بمخالب الطاغين والحمقى
ممن اباحوا قتل اخوتهم ... كى يستميلوا الحاكم النزقا
من طغمة البعث التى كشفت ... عن زيف باطلها . وقد زهقا
ماضيهم قذر وحاضرهم ... قذر « كذاك » الصخر ملتصقا
لو يدرك البعثى واقعه ... ليموت فى ماء الحيا غرقا
لكى يطيع القرد سيده ... والقرد معذور اذا فسقا

❀❀❀

قل للذى كسدت بضاعته : ... من حانف الشيطان مارزقا
ماضر افعى فوق دوحتنا ... وسمومها لاتنخب الورقا ؟

بغداد : ... غازى سعيد

◆ كتاب الشعر للفارابي :

نشرت مجلة (شعر) اللبنانية في عددها I2 خريف I959 « كتاب الشعر » للفيلسوف ابي نصر الفارابي ، وهو ينشر للمرة الاولى ٠ وقد حققه لها الدكتور محسن مهدي ، استنادا الى المخطوط رقم 8I2 في المكتبة الحميدية في القسطنطينية ٠ وهذا المخطوط يحوي جوامع الفارابي لكتب ارسطوطاليس المنطقية (ما عدا كتاب السفسطة) بما في ذلك كتاب الخطابة وكتاب الشعر الذي يرد في آخره (ورقة II22 ــ II23)

ورأينا تتميما للفائدة نقله للقراء :

ان للعرب من العناية بنهايات الابيات التي في الشعر اكثر مما لكثير من الامم التي عرفنا اشعارهم ٠ فاذا (I)انما تصير أكمل وأفضل بالفاظ ما محدودة (اما غريبة واما مشهورة) ، وان تكون المعاني المفهومة عن الفاظها أمورا تحاكي الامور التي فيها القول ، وان تكون بايقاع ، وان تكون مقسومة الاجزاء ، وان تكون أجزاؤها في كل ايقاع سلابات (2) واسباب واوتاد محدودة العدد ، وان يكون ترتيبها في كل وزن ترتيبا محدودا ، وان يكون ترتيبها في كل جزء هو ترتيبها في الآخر (فان بهذا تصير أجزاؤها متساوية في زمان النطق بها) ، وان تكون الفاظها في كل وزن مرتبة ترتيبا محدودا وان تكون نهاياتها محدودة (اما بحروف باعيانها او بحروف متساوية في زمان النطق بها) ، وان تكون الفاظها ايضا كالمحاكية للامر الذي فيه القول ، ثم تكون ملحنة ٠ فبعض الامم يجعلون النغم التي يلحنون بها الشعر أجزاء للشعر كبعض حروفه حتى ان وجد القول دون اللحن بطل وزنه كما لو نقص منه حرف من حروفه بطل وزنه ، وبعضهم لا يجعل النغم كبعض حروف القول ولكن يجعلون القول بحروفه وحدها وذلك مثل اشعار العرب ، وهذه اذا لحنت فربما خالف ايقاع اللحن ايقاع القول فيزول عندما يلحن ايقاع القول نفسه ، واولئك (3) انما جعلوا النغم كبعض حروف القول حذرا من ان يبطل وزن القول اذا لحن به ٠ والجمهور وكثير من الشعراء انما يرون ان القول شعر متى كان موزونا مقسوما باجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية ، وليس يبالون (I22ب) كانت مؤلفة مما يحاكي الشيء أولا ، ولايبالون بالفاظه كيف كانت بعد ان تكون فصيحة في ذلك اللسان بل يؤثرون منها ما كان مشهورا سهلا٠ وكثير منهم يشترطون فيها مع ذلك تساوي نهايات أجزائها ، وذلك اما ان تكون حروفا واحدة باعيانها او حروفا ينطق بها في ازمان متساوية ٠ ويبين من فعل او ميروش (4) شاعر اليونانيين انه لايحتفظ بتساوي النهايات ٠

(I) فاذا ح٠ ولعلها « فاذا اشعارهم » ، أي أشعار العرب ٠

(2) وسلانيات ح٠ (3) واولائك ح٠

(4) في ترجمة متى بن يونس يرد اسم هومر « أوميروس » دائما ٠ أما في شرح ابن رشد فيرد « اوميروش » كما عند الفارابي هنا ، راجع « ارسطو طاليس: فن الشعر » ٠ تحقيق عبد الرحمن بدوي (القاهرة 1953) واسم

والقول اذا كان مؤلفا مما يحاكي الشيء ولم يكن موزونا بايقاع فليس يعد شعرا ولكن يقال هو قول شعري فاذا وزن مع ذلك وقسم اجزاء صار شعرا • فقوام الشعر وجوهره عند القدماء هو ان يكون قولا مؤلفا مما يحاكي الامر وان يكون مقسوما بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية ، ثم سائر ما فيه فليس بضروري في قوام جوهره وانما هي أشياء يصير بها الشعر افضل • واعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة وعلم الاشياء التي بها المحاكاة ، واصغرهما الوزن • والخطابة قد تستعمل شيئا من المحاكاة يسيرا ، وهو ما كان قريبا جدا واضحا مشهورا عند الجميع • وربما غلط كثير من الخطباء الذين لهم من طبائعهم قوة على الاقاويل الشعرية فيستعمل المحاكاة ازيد مما شأن الخطابة أن تستعمله ، غير انه لايوثق به • فيكون قوله ذلك عند كثير من الناس خطبة (I) بالغة (2) وانما هو في الحقيقة قول شعري قد عدل به عن طريق الخطابة الى طريق الشعر • وكثير من الشعراء الذين لهم ايضا قوة على الاقاويل المقنعة ويزنونها فيكون ذلك عند كثير من الناس شعرا وانما هو قول خطبي عدل به عن منهاج (3) الخطابة • وكثير من الخطباء يجمع في خطبته الامرين جمعا وكذلك كثير من الشعراء وعلى هذا يوجد أكثر الشعر (4) •

والاقاويل الشعرية هي التي شأنها ان تؤلف من أشياء محاكية للامر الذي فيه القول ، فان محاكاة الامور قد تكون بفعل ، وقد تكون بقول • فالذي بفعل ضربان احدهما ان يحاكي الانسان بيده شيئا ما (مثل ان يعمل تمثالا يحاكي به انسانا بعينه او شيئا غير ذلك) او يفعل فعلا يحاكي به انسانا ما او غير ذلك • والمحاكاة بقول هو ان يؤلف القول الذي يضعه او يخاطب به من امور تحاكي الشيء الذي فيه القول وهو ان يجعل القول دالا على امور تحاكي ذلك الشيء • ويلتمس بالقول المؤلف مما يحاكي الشيء تخييل ذلك الشيء ، اما تخييله في نفسه ، واما تخييله في شيء آخر ، فيكون القول المحاكي ضربين ضرب يخيل الشيء (5) نفسه وضرب يخيل وجود الشيء في شيء آخر كما تكون الاقاويل العلمية فان احدهما يعرف الشيء في نفسه مثل الحد والثاني يعرف وجود الشيء في الشيء آخر مثل البرهان • والتخييل ههنا مثل العلم في البرهان والظن في الجدول والاقناع في الخطابة • فان افعال الانسان كثيرا ما تتبع تخيلاته ، وذلك انه قد يتخيل شيئا في أمر (أمر) (6) فيفعل في ذلك ماكان يفعله لو اتفق بالحس او بالبرهان وجود ذلك الشيء في

هو مر لايرد في وسالة الفارابي « في قوانين صناعة الشعراء ».

(I) خطيبة ح.

(2) ح. ولعلها « بليغة » او « بالغة الاثر »

(3) ح. الظاهر ان العبارة الآتية قد سقطت من النص في هذا الموضوع : « الشعر الى منهاج ».

(4) لشعر ح.

(5) ح. ولعلها « الشيء في » . (6) ح. ولعلها « ما » .

ذلك الامر ، وان اتفق ان يكون الذى خيل له ليس كما خيل ، مثل مايقال (7) الانسان اذا نظر الى شىء يشبه بعض ما يعاف فانه يخيل اليه من ساعته فى ذلك الشىء انه مما يعاف فتقوم نفسه منه وتتجنبه وان اتفق انه (1123) ليس فى الحقيقة كما خيل له • كذلك يعرض للانسان عندما يسمع الاقاويل التى تحاكى فتخيل فى الشىء امرا ما • وذلك ان الذى يـراه ببصره فيخيل اليه امرا ما فى ذلك الشىء ولوصف له ذلك بعينه بقول فان ذلك القول كان يخيل له فى ذلك الشىء الامر بعينه الذى خيل فيه مـا رآه ببصره ، وذلك مثـل الاقاويل التى تخيل الحسن فى الشىء او القبح فيه أو الجور او الخسة أوالجلالة فان الانسان كثيرا ما تتبع افعاله تخيلاته (8) وكثيرا ما تتبع ظنه او علمه ، وكثيرا ما يكون ظنه او علمه مضادا لتخيله فيكون فعله بحسب تخيله لابحسب ظنه به او علمه • فلذلك صار الغرض المقصود بالاقاويـل المخيلة ان تنهض بالسامع نحو فعل الشىء الذى خيل له فيه امر ما (من طلب له او هرب عنه ومن نزاع او كراهة له او غير ذلك من الافعـال من اساءة او احسان) سواء صدق مايخيل اليه من ذلك املا ، كان الامر فى الحقيقة على ما خيل او لم يكن• وكما ان الانسان اذا حاكى بما يعمله شيئا ما ربما عمل ما يحاكى بـه نفسه وربما عمل مع ذلك شيئا يحاكى ما يحاكيه (فانه ربما عمل تمثالا يحاكى زيدا وعمل مع ذلك مرآة يرى فيها تمثال زيد) كذلك (9) نحن ربما لم نعرف زيدا فنرى (10) تمثاله فنعرفه بما يحاكيه لنا لا بنفس صورته ، وربما لم نر تمثالا له نفسه ولكن نرى صورة فى المرآة فتكون قد عرفناه بما يحاكى ما يحاكيه فنكون قد تباعدنا عن حقيقته برتبتين • وهذا بعينه يلحق الاقاويل المحاكية ، فانا ربما الفت عن اشياء تحاكى الامر نفسه ، وربما الفت عما تحاكى الاشياء التى تحاكي الامر نفسه ، وعما تحاكى تلك الاشياء فتبعد فى المحاكاة عن الامر برتب كثيرة • وكذلك التخيل للشىء عن تلك الاقاويل فانه يلحق تخيله هذه الرتب • فانه يتخيل الشىء بما يحاكيه بـلا توسط ويتخيل بتوسط شىء واحد وبتوسط شيئين على حسب القول الذى يحـاكى الشىء • وكثير مـن الناس يجعلون محاكاة الشىء بالامر الابعد اتم وافضل من محاكاة بالامر الاقرب ويجعلون الصانع للاقاويل التى بهذه الحال احق بالمحاكاة وادخل فى الصناعة واجرى على مذهبها •

(7) ح• ولعلها « يقال ان » •

(8) تخييلاته ح•

(9) وكذلك ح•

(10) فترى ح•